سلسلة وقفات بيانية تدبرية لآيات الرؤيا في القرآن الكريم

تأملات في رؤيا يوسف عليه السلام

تأليف

أحمد بن عبدالعزيز قشوع

سلسلة وقفات بيانية تدبرية لآيات الرؤيا في القرآن الكريم

تأملات في رؤيا
يوسف عليه السلام

تأليف

أحمد بن عبدالعزيز قشوع

الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ

المملكة العربية السعودية – جدة

محفوظة جميع الحقوق

احمد عبدالعزيز قشوع ، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قشوع ، احمد عبدالعزيز
تأملات في رؤيا يوسف عليه السلام. /احمد عبدالعزيز قشوع .
جدة ، ١٤٣٥ هـ
٢٠٠ص ؛ ١٤.٨×٢١ سم

ردمك ٦- ٦٤٩٣- ٠١- ٦٠٣- ٩٧٨

١- يوسف (عليه الصلاة والسلام) ٢- قصص الانبياء ٣- قصص القرآن أ.العنوان
ديوي ٢٢٩,٥ ١٤٣٥/٩٢٥٤

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٩٢٥٤
ردمك: ٦-٦٤٩٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨

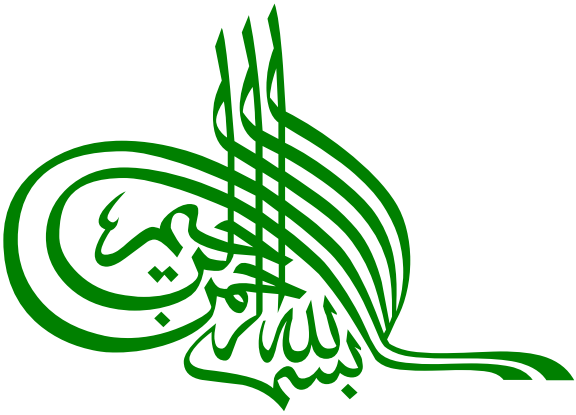
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من لهما الفضل علي بعد الله عزوجل.....

أمي رحمها الله و أسكنها الفردوس الأعلى ....

وأبي حفظه الله وشفاه ...

إلى زوجتي المتفانية بإخلاصها لزوجها وبيتها .....

إلى كل معلم ناصح تعلمت منه الخيروالمثابرة والجد .....

إلى كل من وجهني ونصحني ...

إلى كل صديق مخلص محب .....

أهدي هذا العمل المتواضع راجيا من المولى عزوجل أن يلقى القبول والنجاح

البداية

مما استبشرت به في البدء بخطوات نشر هذا الكتاب رؤيا قصت علي، ومضمونها:

أن زوج الرائية (واسمه يدل على علو وارتفاع وهو حافظ لكتاب الله ولا نزكي على الله أحداً) جاء إليها قائلاً: أن الشيخ أحمد عنده اليوم حفلة في منزله بمناسبة طباعته الكتاب، فسألته الرائية من أحمد ؟ فقال: أحمد مفسر الأحلام قريب العائلة، وكان هناك أناس كثر في الحفل أو المناسبة (علما أنه لم يكن أحد يعلم عن هذا الكتاب حتى كانت هذه الرؤيا، وهي من المبشرات إن شاء الله) .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه[١]،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[٤].

وبعد،

فإن المغزى الأول من هذه الدراسة المتواضعة هو استشعار دقة كلام الله جل وعلا، والوقوف مع آياته وتدبرها، وأيضًا للرجوع للقرآن، فعلينا استنباط الفوائد والأحكام منه، ثم من السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام، لا سيما أننا لم نجد ذلك في كثير من الكتب،

---

(١) خطبة الحاجة للإمام الألباني ص (٦).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٢).

(٣) سورة النساء الآية (١).

(٤) سورة الأحزاب الآيات (٧٠،٧١).

لاعتمادها على السنة النبوية دون الرجوع لكتاب الله[1]، ولعل من أسباب ذلك ما نقلناه عن الإمام ابن القيم ـ يرحمه الله[2].

والمغزى الثاني: كان اجتهادًا لتوضيح العلاقة بين رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ والأحداث التي حصلت له في حياته[3]، وكيف أن الرؤيا تخبر عن حياة الرائي، وخصوصًا المستقبلية، فيتطلب ذلك التعامل مع الرؤيا كمسار للحياة وكطريق يستدل به المرء على طريق يسلكه؛ بل إن هذا هو الأهم في التعبير، فلا نكتفي بأن نقف مع تعبير الرؤيا وقفات سطحية.

ولعل ذلك بداية للتوصل إلى دراسات تجعلنا نعزز من فوائد تعبير الرؤى، وكيف يكون لها أثر في مستقبل الرائي، ومعرفة الكثير عن حياته، بطريقٍ حلالٍ طيبٍ زكّاه الشرع.

---

(١) لقوله ـ ﷺ: (تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه ـ ﷺ) الموطأ [١٨٧٤]ص (٢/٧٠)، حسنه الإمام الألباني في المشكاة حديث [١٨٦] وفي السلسلة الصحيحة شرح مطول (٤/٣٦١) .

(٢) انظر ص (٢٦) .

(٣) تقول الدكتورة زاهية الدجاني، في كتابها يوسف في القرآن الكريم والتوراة عن مصطلح الرؤيا بأنها: تعنى بتزويد الإنسان، الذي يتحلى بصفاء الروح ونقاء القلب، بأسرار وخفايا متصلة بمجرى حياته ص (٢٤).

وبعد هذا التمهيد اليسير نحيط القارئ الكريم، أن هذا البحث بداية لسلسة تُعنَى باستخراج واستشفاف بعض الوقفات والفوائد من آيات الرؤيا في القرآن الكريم.

وأول ما نبدأ به رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ لموقعها وأهميتها؛ إذ إنها هي أول آية نزلت في كتاب الله من آيات الرؤيا[1]، وموضوعها خاص بعلم تعبير الرؤيا، وبالطبع هذا الترتيب مرتب على تفسير القرآن الكريم بحسب النزول[2] .

وبعد أن نسرد الكثير من الفوائد لرؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ سوف نسرد باقي الرؤى النبوية، ونقف معها ونشرحها، ونسأله تعالى أن يمن علينا بإكمال جميع الرؤى التي ذكرت في الكتاب الحكيم، وبعد ذلك سنقف وقفات مشابهة لها مع أحاديث رسول الله ـ عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ في هذا الباب أيضًا.

---

(١) معارج التفكر ودقائق التدبر [(٥٧٩/١٠) سورة يوسف تنزيل (٥٣). حيث إن الآيات التي ذكر فيها الرؤيا كانت في أربع سور فقط في القرآن الكريم يوسف ترتيب نزولها (٥٣)، الفتح ترتيب نزولها (١١١)، الأنفال ترتيب نزولها (٩٨)، الصافات ترتيب نزولها (٥٦)]، وأول هذه السور نزولاً سورة يوسف، وهناك مراجع أخرى يستعان بها، مثل كتاب البرهان والإتقان وغيرها.

(٢) المرجع السابق، والمقصد هنا ترتيب السور بغرض التفسير والبيان، وليس الغرض ترتيب القرآن بحسب النزول لقراءته للتعبد أو حفظه أو ترتيبه، والأمر فيه كلام يطول شرحه.

والفوائد التي سوف نسردها ستكون (تبيانًا وتدبرًا)، بمعنى أننا نقف مع آيات كتاب الله الحكيم، مع علم البيان[1]، وعلم التدبر[2]، ومع بعض الفوائد المستخرجة، ونستنبط ما ينتج من إشارات، أي إنها ليست تفسيرًا، ولكن نذكر بعض النقاط والفوائد التي يستفاد منها، أما التفسير فيرجع له في الكتب المعروفة والمشهورة، وإلى علمائه الكرام.

وقبل أن أكتب هذا البحث درست وقرأت الآلاف من الصفحات . من غير مبالغة . على أن أجد من يقف على رؤيا يوسف . عليه السلام . خاصة، والرؤى الأخرى الموجودة في كتاب الله عامة، بحيث يستفاد من علم تعبير الرؤيا في شرحها وبيانها، فلم أجد ما يشبع فضولي، وتقريبًا ما وجدت أحدًا قد وقف تلك الوقفات، إلا إذا كان هناك مؤلف لم أطّلع عليه، أو عالم لم أسمع منه.

---

(١) علم البيان هو: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد، بتراكيب مختلفة، في وضوح الدلالة على المقصود، بأن تكون دلالة بعضها أجلى من بعض، وموضوعه: اللفظ العربي، من حيث وضوح الدلالة على المعنى المراد، وغرضه: تحصيل ملكة الإفادة، بالدلالة العقلية، وفهم مدلولاتها، وغايته: الاحتراز عن الخطأ، في تعيين المعنى المراد، ومباديه بعضها: عقلية، كأقسام الدلالات، والتشبيهات، والعلاقات، وبعضها وجدانية، ذوقية، كوجوه التشبيهات، وأقسام الاستعارات، وكيفية حسنها. [أبجد العلوم، للقنوجي ص (١٢٩/٢)]، وهناك كتب خدمت هذا الجانب للمتأخرين منها: كتاب (على طريق التفسير البياني) للدكتور فاضل السامرائي، دار الفكر، ومقالات الشيخ محمد راتب النابلسي، وكتابات الدكتور عبدالرحمن فودة، منها كتاب (بلاغة النظم القرآني) وغيرها من الكتب.

(٢) والتدبر لكتاب الله هو: (التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكَلِم ومراميه البعيدة)، قواعد التدبر الأمثل للميداني ص (١٠) .

نعم، هناك كثيرٌ من المصنفات تذكر فوائد عامة من إجمالي سورة يوسف . عليه السلام . وتمر مرورًا سريعًا على رؤياه، ولكن لا تدرسها بدقة، ولعل هذا الأمر يحتاج إلى متخصص بعلم تعبير الرؤى ليبين ويفصل الكثير من تلك المسائل المتعلقة بالرؤيا، مع العلم أن كتاب الله هو المرجع الأول للتشريع، ولا تكون الأحكام إلا بالاستنباط منه ومن ثم النظر في باقي الأصول ومن أولها بعد القرآن الكريم الأحاديث النبوية الشريفة، فتطلب ذلك شحذ الهمم لاستخراج واستنباط الفوائد التي لها مدلول عميق.

وندرة المعلومة في هذا المجال بل انقراضها، جعلني أشمر عن ساعد الجد، وأسد ثغرةً لم تسد من قبل، فحرصت أن أقف على كل كلمة في رؤيا يوسف . عليه السلام . وأحاول أن أحلل كل رمز من رموز رؤياه . عليه السلام . فكنت أتعامل مع هذه الكلمات على أنها كنوز ثمينة غالية.

ومما يشحذ الهمم لهذا المؤلف أيضًا، أن كثيرًا من العلوم كان لأصحابها وقفات مع آيات القرآن الكريم، سواء كان في الطب، أو الفيزياء، أو علم الفضاء، وحتى في العلوم النظرية، بل كثيراً من المسائل والأحكام، وها نحن مع علم تعبير الرؤيا[1] نستنبط بعض الفوائد من كتاب الله العظيم.

---

(١) سماه العالم ابن خلدون علم تعبير الرؤيا؛ قال في كتابه: (الفصل الثامن عشر في علم تعبير الرؤيا) تاريخ ابن خلدون (٦٢٥/١).

ومن المؤسف أن نجد البعض يقول في مسائل قرآنية: أن البحث فيها لا يفيد! وأستغرب منهم هذا الكلام! وهل هناك أمرٌ ذكر في القرآن الكريم لا يفيد!! بل يعتبر ذلك انتقاصاً من عظمة القرآن عياذًا بالله، بل وكيف يكون ذلك وقد أنزل الله تعالى في كتابه الحكيم ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[٢].

بل إن من الآيات التي نزلت آيات في التدبر جاءت في سياق الكفار[٣] في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤] ما يدل أنه علينا تقريب معاني القرآن الكريم لفهم الكفار حتى يفهموه ويتدبروه.

---

(٢) سورة الأنعام الآية (٣٨).

(٣) انظر كتاب مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر ص (١٨٥).

(٤) سورة ص الآية (٢٩).

إن قصور عقولنا عن أفكار وفوائد كثيرة تستخرج من كتاب الله العظيم لا يعني أن نروّج لجملة (إن البحث في هذه المسألة لا فائدة منه)[1]، وقد درسنا عند علماء متخصصين في الدراسات القرآنية، وكانوا يفسرون القرآن بالكسرة والفتحة والحرف، وما يدريك، لعل فائدة لا تهم قارئ، وهي عند آخر مفيدة، بل لعلها تقوي إيمانه، بل لعلها تقوده للإسلام إن كان على غير الملة، ويظهر هذا في بعض التخصصات التي لا يحصل عليها معظم الناس.

واستنباط الفوائد (الجديدة) من آيات الله، ليس سهلاً، بل هو أمر شاقٌّ، إذ إنه يعتمد على التفكير الذاتي، والربط بين آيات الله الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة، ومن أسباب تلك الصعوبة، أنه لا يوجد كتاب متخصص في هذا الموضوع، ولا في هذا المجال.

وقيدت هذه الدراسة بذكر الفوائد المتعلقة بعلم الرؤيا فقط، ولم أسترسل في الفوائد العامة ـ إلا الشيء اليسير ـ لأنني أعلم أن هناك إعادة سوف تكون، فإن الفوائد العامة مشبعة بالمصنفات والمؤلفات والمحاضرات، وغالبًا ما تكون تلك الفوائد مكررة ومنقولة، فحرصت في

---

(١) قرأت كلامًا جميلاً نقله صاحب تحفة الأحوذي، وأحببت أن أنقله هنا في هذا المبحث، يقول السيد جمال الدين: (المعنى أن الناس يتفاوتون في فهم المعاني، واستنباط الحقائق المحتجبة، واستكشاف الأسرار المرموزة، فينبغي أن لا ينكر من قصر فهمه عن إدراك حقائق الآيات ودقائق الأحاديث على من رزق فهما وألهم تحقيقًا)، تحفة الأحوذي (٧/458).

هذا البحث على ذكر المعلومات الجديدة بقدر ما أستطيع، والتي يكون فيها تجديدٌ لهذا العلم ولا تكون تقليدًا أو نقلاً.

وقبل أن نكمل علينا أن نعلم أن الرؤيا تدل على الأمور المستقبلية (في الغالب)[1]، وعلى هذا فعندما نشرح رؤيا جاءت في القرآن الكريم، أو في الحديث النبوي الشريف (مصادر التشريع) أو حتى نعبر رؤيا لأحد ما، علينا أن نركز على إشاراتها المستقبلية، ولا نتوقف على بعض المعاني السطحية فقط.

(١) الرؤيا تدل على الحاضر والمستقبل، وربما تدل على شيء في الماضي، فإذا وقفنا مع الحديث الذي يرويه الصحابي الجليل أبو موسى . ﷺ . والحديث ذكرناه في هذا الكتاب، ويستشهد به على أمور كثيرة، منها: أن رسول الله . ﷺ . عبر الرؤيا على شيء في الماضي، ويتضح هذا من قوله . عليه أفضل الصلاة والسلام .: (فذهب وهلي) يبين أن هذا الأمر قد حدث وأصبح من الماضي، ومع ذلك فإن رسول الله . عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم . عبره واستمر في تعبيره، ولعل الأمر يشير إلى تذكره عليه الصلاة والسلام تعبيره ومقارنته بما حدث.

وهناك حديث آخر أيضًا يدل على أن الرؤيا تدل على الحال الحاضر بل على صفات معينة موجودة في شخصية ما!! وهذا الحديث الصحيح الشريف أخرجه البخاري برقم [٧٠٣١]، (٩/٤١)، ويرويه الصحابي الجليل ابن عمر . رضي الله عنهما . والحديث طويل نذكر منه الشاهد (أن عبدالله رجل صالح) فدل هذا الحديث، على أن الرؤيا في أحيانٍ كثيرة تدل على حاضر المرء.

و رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ فيها أمور حدثت له بعدما رآها، ولعل هذا من أسرار نصيحة يعقوب ـ عليه السلام ـ بأن لا يقص الرؤيا على إخوته؛ حتى لا يعلموا ما سيكون له من خير فيزدادوا حسدًا له، وحقدًا عليه.

و نستطيع أن نقول أن رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ وتحققها تحتاج إلى مزيد من التأمل والتدبر.

هذا والأصل في ذكر الفوائد في هذا الكتاب أنها من باب الاجتهادات التي لا تتعلق بحكم، ولا تناقش عقيدة، ونسأل الله أن لا يكون فيه ما يخالف دليلاً شرعيًّا صحيحًا ثابتًا عن رسولنا الكريم عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

التمهيد

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[1] .

رؤيا تحتوي على ستة رموز أساسية فقط، لم أكن أتوقع أنها تجمع هذه الأسرار!

من عظمة القرآن الكريم أنه لا يزال يمد الناس بالفوائد الكثيرة لكل زمان ومكان، وليس من الغريب استنباط جديد الفوائد منه بين الفينة والأخرى، فهذا من الخصائص اللصيقة بالقرآن العظيم، ورغم جميع ما أُلِّف وكُتب فلن يفي أحد من البشر بتبيان جميع لطائفه وفوائده، فلا يكاد لسان بليغ يصف ما فيه من الروعة والجمال، ولا قلم حاذق من كتابة ما فيه من الفوائد والنكت.

واستشفاف الفوائد من بعض آيات القرآن الحكيم ليس بالأمر الجديد بل هو من دأب الأولين، ولنا في الصحابي الجليل ابن عباس . رضي الله عنهما . ترجمان القرآن قدوة، فقد وقف عدة وقفات مع آيات الله، منها في قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[2] قال: قرآنًا.

---

(١) سورة يوسف؛ الآية (٤).

(٢) سورة الرعد؛ الآية (١٧).

﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾[1] قال: الأودية: قلوب العباد[2].

والإمام ابن كثير . يرحمه الله . ينقل لنا أيضًا ما نُقِل عن ابن عباس . رضي الله عنهما . في قوله تعالى: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾[3]، (هو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علمًا كثيرًا ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها)[4] ا.هـ.

وهذا دليلٌ واضح وطريق بيّنٌ نسلكه من بعدهم في استشفاف واستخراج الفوائد من آيات الله.

(ولعل ذلك يُشْبِه الدم الذي يجري في عروق الجسد بسبب ضخ القلب له، كالماء الذي يجري في الوديان بسبب ضخه من قلب الأرض والله أعلم)[5].

وقال الإمام ابن القيم . يرحمه الله . في عبارات رنانة: (والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حكمًا أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو

---

(١) السابق.

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٥١).

(٣) سورة الرعد؛ الآية (١٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٤٤٧).

(٥) من فوائد المؤلف.

أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتنبيهه واعتباره) [1] ا.هـ.

بل إن العالم المفسر الإمام ابن كثير ـ يرحمه الله ـ وقف وقفات المتأني مع رؤيا ملك مصر؛ ليبين على ما يشير من رمز البقرات ويشرح لنا كيف فهم يوسف ـ عليه السلام ـ هذا الرمز، يقول ـ يرحمه الله: (ففسر البقر بالسنين؛ لأنها تثير الأرض التي تستغل منها الثمرات والزروع)[2]، وبإذن المولى سيكون لنا وقفات مع هذه الآيات، ولكن أردت أن أستشهد بمثال يسير، والأمثلة على ذلك كثيرة.

(١) إعلام الموقعين (١/٣٥٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٣٩٢).

وأيضا تفسير الإمام الجليل ابن سعدي ـ يرحمه الله ـ وهو يشرح تعبير رؤيا ملك مصر ويقف عليها ويبين عجائبها[1].

وكانت تلك الوقفات من المفسرين العظماء نبراسًا نقتدي به لإكمال هذا البحث، وطريقًا بيِّنًا نسلكه لتدبر كتاب الله العظيم.

(١) يقول ـ يرحمه الله ـ في كتابه (فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام):(وكان هذا العلم العظيم من يوسف هو السبب الأعظم في خروجه من السجن، وتقريب الملك له من اختصاصه به، وتمكينه من الأرض .....)، ص (١٩).

ويقول ـ يرحمه الله ـ في موضع آخر: فعبر يوسف السبع البقرات السمان والسبع السنبلات الخضر، بأنهن سبع سنين مخصبات، والسبع البقرات العجاف، والسبع السنبلات اليابسات، بأنهن سنين مجدبات، ولعل وجه ذلك ـ والله أعلم ـ أن الخصب والجدب لما كان الحرث مبنيًّا عليه، وأنه إذا حصل الخصب قويت الزروع والحروث، وحسن منظرها، وكثرت غلالها، والجدب بالعكس من ذلك. وكانت البقر هي التي تحرث عليها الأرض، وتسقى عليها الحروث في الغالب، والسنبلات هي أعظم الأقوات وأفضلها، عبرها بذلك، لوجود المناسبة، فجمع لهم في تأويلها بين التعبير والإشارة لما يفعلونه، ويستعدون به من التدبير في سني الخصب، إلى سني الجدب فقال:﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ (يوسف: ٤٧) أي: متتابعات، تفسير الإمام السعدي (٣٩٩/١). وبإذن الله سيكون لنا مؤلَّف آخر يدرس هذه الوقفات.

وبين أيديكم هذا البحث المتواضع لنتفكر في آيات الله تفكرًا دقيقًا، وليزداد يقيننا بأن القرآن الكريم بين آياته ترابط ساحر[١]، ومن خلال الفهم العميق لهذا الترابط يكون الإبداع في الطرح... وسنجد أنفسنا أمام بحر من الفوائد التي لا تنضب.

وليعلم أن هناك من الحِكم ما ظهر لنا وخفي عن غيرنا[٢]، وهناك ما خفي علينا وظهر لغيرنا، وهناك حِكمٌ تظهر في وقت لاحق، وهناك أمور يخفيها الله لحِكمة نحن لا نعلمها، فسبحان من له الحكمة في تدبير الأمور إنه هو الحكيم العليم، والحكمة ضالة المؤمن[٣]، عليه أن يبحث عنها وإن لم يجدها بعد الجد والاجتهاد فليقف عند قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[٤].

---

(١) مصداقًا لقوله ـ عليه الصلاة والسلام: (إن من البيان لسحرًا) رواه البخاري حديث رقم [٥٧٦٧] (١٣٨/٧)، يقول الفخر الرازي : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، (١١٣/١٠) .

(٢) يقول الشيخ الدكتور مساعد الطيار ـ يحفظه الله ـ وهو يشرح علم الاستنباط: (علم الاستنباط الذي لا حد له، وقد يفتح الله على عباده في عصر ما لم يفتحه على من قبلهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)، انظر كتاب مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر لفضيلته ص (١٥٩).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١٠١/١)، وأصله عند الترمذي والحديث ضعيف، ضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة (٧٧٦/١٣).

(٤) سورة الشورى؛ الآية (١٥).

والتدبر لكتاب الله هو: (التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكَلِم ومراميه البعيدة)[1]، فدل ذلك أنه علينا أن نضاعف جهدنا حتى نصل إلى فهم راقٍ للقرآن الكريم، ويكفي أن نعلم أن التدبر من العبادات العظيمة.

ولعل هذه الدراسة اليسيرة تكون بداية لطريق جديد لفهم آيات الله فهمًا متجددًا يقودنا إلى التعلق بكتاب الله العظيم وزيادة حبنا له، وأن نكون ممتثلين لقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[2] .

(١) قواعد التدبر الأمثل للميداني ص (١٠)، ويعرفه الإمام الطاهر بن عاشور: بأنه التفكّر والتأمّل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلامٍ قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبّر تدبّرًا انكشف له معانٍ لم تكن له بادئ النظر، (٢٣/٢٥٢).

(٢) سورة ص الآية (٢٩).

الفصل الأول: مكانة رؤيا يوسف

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول: أهم ضوابط تعبير الرؤى

المبحث الثاني: المناسبة بين رؤيا يوسف عليه السلام وأنها من الغيب وسورة هود عليه السلام

المبحث الثالث: رؤيا يوسف عليه السلام هي أول رؤيا نزلت في القرآن الكريم !!

المبحث الرابع : من أحسن القصص رؤيا يوسف عليه السلام !!

المبحث الخامس : الرؤيا المرموزة ... سمة لما رآه يوسف عليه السلام في منامه !!

المبحث السادس : هل عبرت رؤيا يوسف عليه السلام ؟ (تحقيق وتدقيق)

المبحث الأول

أهم ضوابط تعبير الرؤى

وللوقوف على تفاصيل تعبير الرؤيا، علينا أن نُذَكِّر ببعض الضوابط التي يتم من خلالها التعبير.

١ ـ أن يكون التأويل على المحمل الحسن[١]، وإذا كان هناك أمر فيه تحذير للرائي يحتاج من المعبر أن يوضحه فلا بأس، ولكن يوضحه له، كما فعل يوسف ـ عليه السلام ـ مع الملك، أي بذكر العوامل التي سوف تخرجه من الضرر حتى لا يقع فيه.

٢ ـ تعبير الرؤى هو علم ظني، بمعنى: عدم الجزم في التعبير، ويتضح هذا في الحديث الشريف الذي يرويه الصحابي الجليل أبو موسى، والحديث في البخاري، عن النبي ﷺ، قال: (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب، ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفًا، فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته بأخرى فعاد أحسن ما كان فإذا هو ما جاء الله به من الفتح، واجتماع المؤمنين ورأيت فيها بقرًا، والله

---

(١) من الأدلة التي يستشهد بها: جاء عند الإمام الدارمي حديث رقم [٢٢٠٩]، وبسند حسن (مسند الإمام أحمد الرسالة (١٠١/٢٦))، عن سليمان بن يسار عن عائشة ﵂ قالت: إن رسول الله قال: مه يا عائشة، إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير، فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها، وحسنه الحافظ ابن حجر أيضًا (فتح الباري ٤٣٢/١٢)، وبعد التحري والبحث الدقيق، لم نجد آية قرآنية، ولا حتى حديثًا واحدًا، عبَّر فيه رسول الله ـ ﷺ ـ رؤيا واحدة على المحمل السيئ بتاتًا.

خير فإذا هم المؤمنون يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق، الذي آتانا الله بعد يوم بدر)[1].

والشاهد من الحديث، أن رسول الله ـ ﷺ ـ يبين أن التعبير بالظن، لاحظ قوله ـ عليه الصلاة والسلام: ((فَذَهَبَ وَهَلِي[2] إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ)) وبعد ذلك كان هناك استدراك، فقال ـ عليه السلام ـ: ((فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ)).

ومن خلال قراءتنا لهذا البحث، سنجد أن بعض هذه الفوائد تكون قريبة من الذهن جدًّا، ولكن عزلها عنه قلة التدبر، ولعل هذه الوقفات تحيي فينا تدبر كتاب الله الجليل من جديد.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه حديث رقم [٣٦٢٢] (٤/٢٠٣).

(٢) يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (قوله فذهب وهلي) فذهب وهلي بفتح الواو والهاء أي ظني، يقال: وهل بالفتح يهل بالكسر وهلا بالسكون إذا ظن شيئًا فتبين الأمر بخلافه (٧/٢٢٨).

المبحث الثاني

الرابط بين رؤيا يوسف عليه السلام وأنها من الغيب وسورة هود عليه السلام

نذكر مثالاً يسيرًا لنبين ترابط آيات القرآن العظيم مع بعضها؛ وبخاصة القريبة من موضوع بحثنا:

ذكر الله تعالى وتقدس في نهايات سورة هود ـ عليه السلام ـ: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1]، وهذه السورة الكريمة تسبق سورة يوسف ـ عليه السلام ـ مباشرة، يلاحظ هنا أن الآية تتكلم عن الغيب!! وأيضًا لا يزال الحديث عن الغيب معنا، ففي بداية سورة يوسف ـ عليه السلام ـ يقول تعالى: ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[2]، والوحي من الغيب، وأيضًا في قوله تعالى في رؤيا يوسف ـ عليه السلام: ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾[3] الرؤيا من الغيب وفي نهاية سورة يوسف يقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾[4].

وفيها أيضًا أن الرؤيا من أقسام الوحي[1]، ولعل تسلسل الآيات يوضح ذلك فبعد قوله تعالى: ﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[2] . والآية تتكلم

---

(١) سورة هود الآية (١٢٣).

(٢) سورة يوسف الآية (٣).

(٣) سورة يوسف الآية (٤).

(٤) سورة يوسف الآية (١٠٢).

(١) يقول الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ يرحمه الله ـ: (إن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي)، راجع كتاب القول المفيد شرح كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين ـ يرحمه الله (٢/٢٣٧).

عن الوحي . جاءت رؤيا يوسف . عليه السلام .، فلعلها إشارة إلى أن الرؤيا من أقسام الوحي.

ولعل من الفوائد المستنبطة، أن الحكمة من لفظ الرؤيا تطلق على الأمر الذي يُرى في عالم الغيب عمومًا[٣]، ولفظها ليس خاصًّا بالرؤيا المنامية، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾[٤]، وهذا يزيل الإشكال والخلاف في تفسير الآية، فرسول الله . ﷺ . صعد إلى عالم غيبي لا نراه نحن، فناسب ذلك إطلاق لفظة الرؤيا عليه، والله أعلم.

وقد امتدح الله تعالى وتقدس الذين يؤمنون بالغيب في سورة البقرة، فقال عز من قائل: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ

ولا ضير، فعن أبي هريرة . ﷺ : (أن رسول الله . ﷺ . كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: "هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا، إنه ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة)، والحديث في مسند الإمام أحمد حديث برقم [٨٣١٣] وغيره، وصححه الإمام الألباني، والحديث في السلسلة الصحيحة: (قال الحاكم: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قالا) (٨٤٥/١).

(٢) سورة يوسف الآية (٣).

(٣) ويحتمل أن تكون الحكمة في تسمية ذلك رؤيا لكون أمور الغيب مخالفة لرؤيا الشهادة فأشبهت ما في المنام، فتح الباري للحافظ ابن حجر (٣٥٢/١٢).

(٤) سورة الإسراء الآية (٦٠).

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، فدل ذلك على أهمية الإيمان بالغيب وأنه من صلب عقيدتنا.

والشّاهد من ذكر المثال السابق يوضح كيف أن القرآن الكريم له تسلسل للأفكار وترتيب للفوائد يجب علينا الوقوف عندها وتدبرها، فسبحان من أنزله[2].

(١) سورة البقرة الآية (٢.٣).

(٢) بل سبقنا بذلك علماء لهم مؤلفات في تناسب الآيات والسور، مثل كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، بل هو علم يدافع عن القرآن المجيد ويرد على شبهات الضلال.

المبحث الثالث

رؤيا يوسف هي أول آية رؤيا نزلت في القرآن الكريم!!

ونبدأ الآن في الإبحار في أسرار رؤيا يوسف ـ عليه السلام:

سورة يوسف ـ عليه السلام ـ هي سورة مكية على الصحيح[١]، أو على الأقل أن الآيات الأولى منها مكية، وهذه المعلومة تفيدنا في بعض الأمور منها:

أولاً: أن رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ هي أول رؤيا نزلت في القرآن الكريم[٢]، وكل أمر يأتي في البداية له أهمية تفوق أهمية ما سواه، فمثلاً أول ما يدعو له الرسل ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ هو توحيد الله، ولاحظ أن هذه هي البداية وذلك لأهمية الأمر، فرؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ لها أهميتها في قواعد علم تعبير الرؤيا[٣].

ثانيًا: أنها نزلت مع السور والآيات المكية[٤]، بمعنى أنها نزلت مع الآيات التي في بداية الإسلام، وبداية تأسيس الدولة الإسلامية، وهو أهم تأسيس في تاريخ الإسلام، مما يدل على أهمية الرؤى، وأنها جزء من النظام الإسلامي، إذ لا يخفى علينا أن أساسيات الدين الإسلامي والعقائد وأهم الأمور نزلت في السور المكية.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/٣٦٥).

(٢) انظر الحاشية (١) ص (١٥).

(٣) سوف نخصص مبحثًا لهذا الشأن في نهاية الكتاب ـ بإذن الله.

(٤) التعريف المشهور: أن كل آية نزلت قبل هجرة الرسول ـ ﷺ ـ تعتبر مكية، وكل آية نزلت بعد هجرته ـ عليه السلام ـ فهي مدنية. بتصرف، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص (٦١).

ثالثًا: أن السور والآيات المكية لا يؤخذ منها التفصيل في الأحكام الفقهية[1]، وكذلك الرؤى لا يؤخذ منها حكم فقهي، أو أي حكم يمس الأحكام الشرعية عمومًا[2]، وهذا يحسب من التوافق في شريعة الإسلام السمحة.

---

(١) مناهل العرفان (٢١٨/١).

(٢) يقول الإمام ابن حزم ـ يرحمه الله ـ في كتابه المحلى: (الشرائع لا تُؤْخَذ بالمنامات) ص(٦٥٠)، وانظر فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، للشويعر (٣٨٥/٢).

المبحث الرابع

من أحسن القصص رؤيا يوسف .عليه السلام!!

ما الدليل على أن رؤيا يوسف . عليه السلام . تعتبر من القصص؟

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ ﴾[1]، **فعبر بقص الرؤيا على أنها قصص**[2].

ولعل قص الرؤيا هو من أحسن القصص وأمتعها في القرآن الكريم، والدليل على ذلك أنه جاء في سورة يوسف . عليه السلام . في قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾[3]، **وتلَت هذه الآية مباشرة ومن غير فاصل ولا قاطع**[4] **بل بدأت ب . (إذ) يقول تعالى:** ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[5]**وهذه رؤيا جاءت بعد آية تنص على أن القرآن الكريم يقص أحسن القصص، فكأنها إشارة إلى أن هذه الرؤيا من أحسن**

---

(١) سورة يوسف الآية (٥).

(٢) والقص: حكاية الرؤيا. يقال: قص الرؤيا إذا حكاها وأخبر بها، التحرير والتنوير (٢١٣/١٢).

(٣) سورة يوسف الآية (٣).

(٤) عن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه، قال: إذا حدثت عن الله فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده، (تفسير ابن كثير ١٣/١).

(٥) سورة يوسف الآية (٤).

القصص القرآني، ورؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ أجمل قصة في السورة الكريمة.

ولا يَظنَّ الظانُّ أن ترتيب القرآن الكريم وترتيب آياته جاء هكذا عبثًا[١]!! حاشا لله، بل كل حرف من حروف القرآن له معنى[٢]، بل كل تشكيل له مغزى، فنهايات الآيات لها دلالة، وبداياتها لها دلالة، وهناك ربط بين نهايات الآيات وبداياتها، وهناك رابط معهن ومع نفس السورة الكريمة[٣].

وقصص الرؤيا مشوقة أكثر من غيرها من القصص، بل وتحتوي على فوائد عدة، ورسول الله ـ ﷺ ـ كان كثير السؤال عن الرؤيا بعد الصلاة، وذلك لما يكون فيها من فوائد ولأهميتها[٤].

---

(١) الإتقان (١/ ١٧٠)، وقال الزركشي: (وأما ما يتعلق بترتيبه ـ القرآن ـ فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة في أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، ولهذا لا يجوز تعكيسها) البرهان (١/ ٢٥٦). راجع كتاب مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه المؤلف: عدنان مُحَمَّد زرزور (فصل ترتيب السور).

(٢) كثير منها في علم الغيب وعلمها عند ربي مثل الحروف المقطعة في أوائل السور ولا نقول لا فائدة منها (عياذا بالله) ونعترف بجهلنا بها ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾.

(٣) وكثير من الكتب اهتمت بذلك مثل كتاب أسرار ترتيب القرآن، للإمام السيوطي.

(٤) عن سمرة بن جندب ـ ﷺ، قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول: ما شاء الله، فسألنا يومًا فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟..... الحديث، صحيح البخاري حديث رقم [١٣٨٦] (٢/ ١٠٠).

المبحث الخامس

الرؤيا المرموزة، سمة لما رآه يوسف .عليه السلام. في منامه!!

يقول الله تعالى في محكم تنزيله في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وهو يروي رؤياه لأبيه: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[1] فالناظر في رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ يجد أنها رؤيا من النوع المرموز[2]، بمعنى أنها تحتاج إلى التعبير والتأويل ليُتعرف على مكنوناتها، فهي غير واضحة، ولكي تعبر هذه الرؤى، يكون ذلك بعرضها على خبير بنوعية هذه الرؤى، أو عالم متخصص بها، حتى يفك رموزها ويتعرف على ماذا تدل، ليصل إلى ما تشير إليه هذه الرؤيا، وما تؤول إليه.

وكون رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ مرموزة، فهذا بحد ذاته يعطي انطباعًا أكثر بأهمية تفسير الأحلام، فوقعها يكون أشد للرائي من ناحية شد انتباهه واهتمامه، إذ إن الرؤى المرموزة تحتاج إلى من يحللها، فتحتاج إلى معبر قوي ليعرف معناها ومآلها ولا يكون ذلك للرؤى الواضحة البينة.

---

(١) سورة يوسف الآية (٤).

(٢) يقول ابن بطال ـ يرحمه الله ـ عن أقسام الرؤيا: (والقسم الثانى ما يراه من المنامات المرموزة البعيدة المرام فى التأويل، وهذا الضرب يعسر تأويله إلا على الحذاق بالتعبير لبعد ضرب المثل فيه)، شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥١٧/٩).

وهناك تعريف جميل أيضًا حيث يعرف الرؤيا المرموزة: (وهي من الأرواح، يرى فيها الرائي صورًا تكون رموزًا للحقائق التي سوف تحصل أو التي حصلت في الواقع)، انظر كتاب الرؤى والأحلام في السنة النبوية للعمري ص (٢١).

ولعل الحكمة من ذلك أن يوسف ـ عليه السلام ـ لما رأى هذه الرؤيا لم يكن نبيًّا بعد، ولم تكن هذه الرؤيا وحي نبوة[1]، فرؤى الأنبياء لا تأتي مرموزة على حسب السياق القرآني!!

---

(١) رؤيا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ لا بد وأن تكون وحيًا، وهذه الحجة غير قوية؛ لأن يوسف ـ عليه السلام ـ لم يكن في ذلك الوقت من الأنبياء، مفاتيح الغيب فخر الدين الرازي (٧١/١٨)، ويعلق الدكتور وهبة الزحيلي بأن يوسف ـ عليه السلام ـ لم يكن نبيًّا في ذاك الوقت: ولقد همت زليخة في أن يواقعها يوسف، وأما يوسف الذي لم يكن نبيًّا في وقت هذه الحادثة.....، التفسير الوسيط للزحيلي (١١٠٢/٢).

وفي نهاية القصة سجد له إخوته، وفي منامه هو لم يرَ إخوته سجوداً له، ولكنه رأى الكواكب بدلاً عنهم، يعني أن الرؤيا لم تكن بذاك الوضوح، ولو كانت واضحة لرأى إخوته يسجدون له كما هم من غير رموز تحتاج إلى تأويل، فتبين أن رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ كانت مرموزة وغير صادقة ولكنها صالحة، انظر التعليق في ص (٥٥) حاشية رقم (٢) من بحثنا هذا.

ويظهر هذا جليًّا عندما نقارن[1] رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ برؤى الأنبياء ـ عليهم من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ على حسب السياق القرآني.

وسنجد أن رؤى الأنبياء جاءت صالحة صادقة[2]، بمعنى أنها لا تحتاج إلى تعبير، فهاتان رؤيتان لنبينا وحبيبنا مُحَمَّد ـ عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم: يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ

---

(١) ضرب من ضروب تفسير القرآن بالقرآن، كثيرًا ما يستخدمه المفسرون، وكان يستعمله صاحب أضواء البيان، يقول ـ يرحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ، (الحشر) وتطلق على يوم القيامة كما هنا في هذه الآية لدلالة القرآن على ذلك، من ذلك قوله تعالى في نفس المعنى: ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ ، (النبأ الآية ٤٠)، أضواء البيان (٨/٥٣)، فأتى بآيتين من موضعين مختلفين وقارن بينهما ليستدل بهما على معنى واحد.

(٢) أورد الإمام ابن حجر ـ يرحمه الله ـ في فتح الباري وهو يتكلم على الاختلاف بين الرؤيا الصادقة والرؤيا الصالحة: (وهما بمعنى واحد بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء، وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص، فرؤيا النبي كلها صادقة وقد تكون صالحة وهي الأكثر، وغير صالحة بالنسبة للدنيا، كما وقع في الرؤيا يوم أحد، وأما رؤيا غير الأنبياء فبينهما عموم وخصوص إن فسرنا الصادقة بأنها التي لا تحتاج إلى تعبير، وأما إن فسرناها بأنها غير الأضغاث فالصالحة أخص مطلقًا، وقال الإمام نصر بن يعقوب الدينوري في التعبير القادري: الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه، أو ما يعبر في المنام أو يخبر به ما لا يكذب، والصالحة ما يسر؛) انظر فتح الباري (١٢/ ٤٤٤).

ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [1] ويقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [3].

ورؤيا أبي الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [4].

يلاحظ أن جميعها رؤى نبوية، وجميعها صادقة، بمعنى أنها لا تحتاج إلى تأويل ولا تعبير، فقد تحققت على الواقع مثل ما كانت في المنام تمامًا، غير أن رؤياهما ـ عليهما أفضل الصلاة والسلام ـ لم يكن بينها وبين

---

(١) سورة الأنفال الآية (٤٣).

(٢) سورة الأنفال الآية (٤٤).

(٣) سورة الفتح الآية (٢٧).

(٤) سورة الصافات الآية (١٠٢).

تحققها وقت طويل[1]، بخلاف رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ فقد تحققت رؤياه بعد أربعين سنة[2]، لذلك يظهر لنا أن يوسف ـ عليه السلام ـ لم يكن نبيًّا عندما رأى رؤياه، ولم تكن رؤياه رؤيا نبوية؛ لأنها كانت على عكس ما عليه الرؤى النبوية الأخرى في باقي سور القرآن الكريم، وكانت أيضًا تحتاج إلى فك للرموز وتأويل تلك الرموز، والقرآن الكريم له سياق معين في آياته الكريمة، ولا شك أن هذا السياق سوف يتشابه إذا كان

---

(١) في قوله تعالى في معركة بدر: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ لاحظ في سياق الآيات جاءت الرؤيا وجاء بعدها تحققها مباشرة فلم يفصل بينهما أي فاصل، بخلاف رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ فتحقق رؤياه جاء في آخر السورة الكريمة، كذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ... ﴾، كان بين هذه الرؤيا وبين تحققها قرابة السنة والنصف أو السنة، ويظهر ذلك باستقراء التاريخ في هذه الحقبة، والله أعلم ونسبة العلم إليه أسلم. راجع تفسير ابن كثير (٣٥٦/٧)، تفسير الجلالين (٦٨٣/١).

(٢) تفسير الطبري (٧٠/١٣)، تفسير القرطبي (٢٥٨/١١).

يحمل نفس المدلول وليس المعنى فقط، بل هناك قرينة أخرى، وهو صغر سنه ـ عليه السلام ـ لما رأى تلك الرؤيا[1]، والله أعلم.

ونلاحظ أن رؤيا ـ يوسف عليه السلام ـ لم يكن فيها شيء من جنس الأرض بتاتًا، فكلها أمور متعلقة بالسماء والأجرام السماوية التي من إشاراتها ما يدل على العلو والارتفاع والارتقاء وغيرها من الإشارات الأخرى[2].

وهذا حديثٌ عظيمٌ، وأصلٌ من الأصول التي يستدل بها في علم تعبير الرؤى، على أن أول ما يرى النبي ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ الرؤى الصادقة، لا الرؤى المرموزة، ويظهر ذلك في هذا الحديث العظيم التي ترويه أم المؤمنين عائشة ـ ﵂ ـ أنها قالت: (كان أول ما بُدِئَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى

---

(١) وما أجمل ما كتبه الإمام أبي حيان في تفسيره البحر المحيط حيث يقول: (والذي يظهر من سياق الأخبار والقصص أن يوسف كان صغيرًا، فقيل: كان عمره إذ ذاك سبع سنين. وقيل: ست، قاله الضحاك. وأبعد من ذهب إلى أنه اثنتا عشرة سنة، وثمان عشرة سنة، وكلاهما عن الحسن، أو سبع عشرة سنة قاله ابن السائب. ويدل على أنه كان صغيرًا بحيث لا يدافع عن نفسه، قوله: وأخاف أن يأكله الذئب ويرتع ويلعب وإنا له لحافظون، وأخذ السيارة له، وقول الوارد: هذا غلام، وقول العزيز: عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا..... (٥/٢٨٨).

(٢) وهذه الرؤيا من نوع الرؤى التي فيها بشارة، كما أن فيها إنذار، ويتضح ذلك بالوقوف على رمز أحد عشر، وباقي رموز الرؤيا.

رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[1]، ثم حُبّب إليه الخلاء،..... الحديث)[2].

والأمور التي سوف أركز عليها وأذكرها، هي بعض اللمسات البيانية والتدبرية في هذه الآية الكريمة من كتاب الله العظيم، وهي ليست تفسيراً.

(١) (فلق الصبح) يضرب مثلاً للشيء الواضح البين، انظر الديباج (١٨٨/١)، ومن هذا التعريف يستدل أن الرؤيا الصادقة هي التي تكون واضحةً بينةً لا تحتاج إلى معبر، فكما هي في المنام هي في اليقظة إذا تحققت، والله أعلم. انظر ص (٥٥).

(٢) صحيح البخاري حديث رقم [٤٩٥٣] (١٧٣/٦)، وهناك أحاديث بلفظ الرؤيا الصالحة والمعنى أنها ليست من الشيطان، فالرؤيا الصادقة هي من أقسام الرؤيا الصالحة.

المبحث السادس

هل عبرت رؤيا يوسف عليه السلام؟

(تحقيق وتدقيق)

وكانت هذه نقطة البداية!! فقد لوحظ أن رؤيا يوسف . عليه السلام . في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[1]. كان لها ما يميزها عن غيرها من باقي الرؤى التي ذكرت في نفس السورة، هذا بالنسبة لتفسيرها وتعبيرها، فإما أنه لم يذكر لها تعبير في السورة الكريمة؛ سورة يوسف . عليه السلام . ولم يعبرها أبوه يعقوب . عليه السلام . له، أو أن تعبيرها كان يخفي كثيرًا من الأمور لمصالح عظيمة[2]، وإذا كان تعبيرها في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[3]فما معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾[4] بعد أن سجد له إخوته، علمًا أن بعض المفسرين قالوا أيضًا أن هذه الآية هي تعبير لرؤيا يوسف . عليه السلام!! .

---

(١) يوسف الآية (٤).

(٢) سنقف مع هذه الجزئية في الصفحات القادمة إن شاء الله.

(٣) سورة يوسف الآية (٦).

(٤) السابق الآية (١٠٠).

وليس قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ كما ذكر ذلك بعض المفسرين أيضًا[1]، غير أن هذه المسألة لم تفصل في كثير من الكتاب.

علمًا أنه لم يذكر في جميع السورة أن يعقوب ـ عليه السلام ـ كان من تفسيره لرؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ أن إخوته سوف يسجدون له!!

هذا غير المواضع الأخرى مثل ابتلائه ومعاناته وحبسه!!

مع أن هذه المواقف من المواقف المهمة والتي عليها تسليط ضوء بكم هائل في قصته ـ عليه السلام ـ فلماذا لم تذكر في تعبير الرؤيا؟!!

وقبل أن نسرد كثيرًا من التحليلات في هذا الجانب، علينا أن نقف عدة وقفات ونتأمل في آيتين كريمتين لنقترب أكثر من هذه المسألة :

التأمل في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾[2].

التأمل في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ﴾[3].

---

(١) سورة يوسف دراسة تحليلية ص (٢٨٣)، سنبين ذلك في هذا المبحث إن شاء الله.

(٢) سورة يوسف الآية (٦).

(٣) سورة يوسف الآية (١٠٠).

فأصل المسألة يعتمد على تلكما الآيتين، فالآية الأولى قيل إنها تفسيرٌ لرؤياه ـ عليه السلام ـ والآية الثانية، قيل إنها تفسيرٌ، وقيل إنها تحققٌ لما رأى، وشتان بين الأمرين.

وحتى يكون الحديث في هذا الجانب مفصلاً، سوف نستعرض بعض أقوال المفسرين التي قيلت في تلكما الآيتين الكريمتين، ولن أستطيع أن أسرد جميع الآراء والأقوال، ولكن سأذكر بعض الأمثلة لتتضح الصورة، وسنقسمها على مطلبين:

المطلب الأول: نبدأ بالآية الكريمة ونتأمل في قوله تعالى

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾[1]. يقول الإمام الطبري ـ يرحمه الله ـ في هذه الآية في معنى يجتبيك[2]: بمعنى يصطفيك.

وينقل في تفسيره ـ يرحمه الله ـ أيضًا زيادة على الاصطفاء[3] في معنى الآية السابقة[4]: وعلّمه من عبر الأحاديث، وهو تأويل الأحاديث وهو قول عن الإمام قتادة.

ويقول ـ يرحمه الله[5] ـ عن ابن زيد قال[6]: تأويل الكلام: العلم والحُكمُ، وكان يوسف أعبر الناس. وقرأ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾[7]. انتهى، ولعل هذا أقرب الأقوال.

والإمام البغوي ـ يرحمه الله ـ له نفس النقل[8].

---

(١) سورة يوسف الآية (٦).

(٢) تفسير الطبري (١٥٣/١٢).

(٣) حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة.

(٤) سورة يوسف الآية (٦).

(٥) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد.

(٦) السابق.

(٧) سورة يوسف الآية (٢٢).

(٨) تفسير البغوي (٤١٧/٢).

ويلخص الإمام ابن الجوزي ـ يرحمه الله ـ آراء بعض المفسرين[1]، في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾.

قال الزجاج، وابن الأنباري: ومثل ما رأيت من الرفعة والحال الجليلة، يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك.

وقد شرحنا في الأنعام معنى الاجتباء[2].وقال ابن عباس: يصطفيك بالنّبوّة.

قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تعبير الرؤيا، قاله ابن عباس ومجاهد، وقتادة، فعلى هذا سمي تأويلاً؛ لأنه بيان ما يؤول أمر المنام إليه.

والثاني: أنه العلم والحكمة، قاله ابن زيد.

والثالث: تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتاب، ذكره الزّجّاج. قال مقاتل: و«مِن» ها هنا صلة.

يقول صاحب أضواء البيان: (الظاهر أن الآيات المذكورة تشمل ذلك كله من تأويل الرؤيا، وعلوم كتب الله وسنن الأنبياء، والعلم عند الله تعالى) [3].

---

(١) زاد المسير (٤/، ١٨١).

(٢) وَاجْتَبَيْناهُمْ مثل اخترناهم واصطفيناهم، وهو مأخوذ من جبيت الشيء: إذا أخلصته لنفسك. وجبيت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه، (زاد المسير ٣/ ٨٠).

(٣) أضواء البيان (٣/٢٠٣).

إذًا لعل القول في تفسير الآية فيه خلاف، والخلاف واضح وجلي[1].

وقد أعطى الله ـ عز وجل ـ يوسف ـ عليه السلام ـ الملك والحكمة، والعلم، وتفسير الرؤى، والجمال، فلم يكن نبيًّا فقط، ولم يكن معبرًا للرؤى ومفسرًا للأحلام فقط[2]!!

---

(١) لعله اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، راجع كتاب مقدمة التفسير للعلامة الإمام ابن عثيمين، فصل اختلاف السلف في التفسير وأنه اختلاف تنوع ص (٢٩).

(٢) يقول الزمخشري في تفسيره الكشاف: عرف يعقوب ـ عليه السلام ـ دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغًا من الحكمة، ويصطفيه للنبوّة، وينعم عليه بشرف الدارين، كما فعل بآبائه، فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم (٤١٨/٢). فهو لم يفصح، ولعل ذلك سبب لاختيارنا أن الرؤيا لم تعبر.

ثم يقول: ومثل ذلك الاجتباء ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن، كذلك يجتبيك ربك لأمور عظام.

ويقول: والاجتباء. الاصطفاء، افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك، وجبيت الماء في الحوض: جمعته. والأحاديث: الرؤيا: لأنّ الرؤيا إمّا حديث نفس أو ملك أو شيطان. انظر الكشاف (٤١٩/٢).

قلت: لعل الأقرب أن الناس تتحدث بها لأن الرؤيا من الله وليست حديث ملك، فلا دليل صحيح السند على ذلك، وإن قلنا إن المقصود بتأويل الأحاديث (لأن منها حديث نفس وشيطان) وهذا خطأ ظاهر إذ إن حديث النفس وتخويف الشيطان لا تأول من الأصل، ولكن يستفاد منها في أمور أخرى ليس هذا مجال ذكرها، فقياس معنى الأحاديث على هذا لا يصح والله أعلم.

وقد أفاد في شرح كلمة (الأحاديث) الإمام ابن عاشور في التحرير والتنوير، يقول ـ يرحمه الله: والأحاديث يصح أن تكون جمع حديث بمعنى الشيء الحادث، فتأويل الأحاديث: إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التمام. وهو المعني بالحكمة، وذلك بالاستدلال بأصناف الموجودات على قدرة الله وحكمته، ويصح أن يكون الأحاديث جمع حديث بمعنى الخبر المتحدث به، فالتأويل: تعبير الرؤيا. سميت أحاديث لأن المرائي يتحدث بها الراؤون، وعلى هذا المعنى حملها بعض المفسرين. واستدلوا بقوله في آخر القصة ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ ﴾ من قبل [سورة يوسف: ١٠٠]. ولعل كلا المعنيين مراد بناء على صحة استعمال المشترك في معنييه وهو الأصح، أو يكون اختيار هذا اللفظ إيجازًا معجزًا، إذ يكون قد حكي به كلام طويل صدر من يعقوب ـ عليه السلام = =بلغته يعبر عن تأويل الأشياء

المطلب الثاني: التأمل في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ (١)

يقول الإمام الطبري ـ يرحمه الله(٢): قال يوسف لأبيه: يا أبت، هذا السجود الذي سجدتَ أنت وأمّي وإخوتي لي ﴿تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ ﴾، يقول: ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها، وهي رؤياه التي كان رآها قبل صنيع إخوته به ما صنعوا: أنَّ أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدون ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾، يقول: قد حقّقها ربي، لمجيء تأويلها على الصحَّة(٣).

وينقل ـ يرحمه الله ـ عن ابن زيد(٤) في قوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾(٥)، قال: "يأتي تحقيقه. وقرأ قول الله تعالى:﴿تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ ﴾(٦)، قال:هذا تحقيقها.وقرأ قول الله:﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١)، قال: ما يعلم حقيقته ومتى يأتي إلا الله تعالى".

بجميع تلك المعاني (١٢/ ٢١٦)، يلاحظ أن الإمام ابن عاشور ـ يرحمه الله ـ جعل لكلمة الأحاديث أكثر من معنى.

(١) سورة يوسف الآية (١٠٠).

(٢) تفسير الطبري (١٣/٦٩).

(٣) بعد التحقيق تبين أن رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ لم تعبر، ولم يظهر تأويلها في السورة الكريمة، والله أعلم انظر ص (73).

(٤) حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد...

(٥) سورة الأعراف الآية (٥٣).

(٦) سورة يوسف الآية (١٠٠).

وإذا سلمنا (أن رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ عبرت) نجد أن ذلك العكس بالنسبة لباقي الرؤى التي ذكرت في سورة يوسف، فكل رؤيا جاء معها التعبير الخاص بها، ولم ترد رؤيا في سورة يوسف إلا وعبرت، عدا رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ فتعبيرها كان مغايرًا، فها هي رؤيا السجينان عبرتا في نفس السورة، يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢].

وبعدها بخمس آيات جاء التفسير في قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[٣].

(١) سورة آل عمران الآية (٧).

(٢) سورة يوسف الآية (٣٦).

(٣) سورة يوسف الآية (٤١).

أريد من القارئ الكريم ملاحظة عدة أمور منها:

١ ـ أن يوسف ـ عليه السلام ـ لما عبر رؤيا السجينين، ذكر ما هو المآل الذي سوف يحدث لهذين السجينين بالضبط، مثلاً: السجين الأول، تأويل رؤياه: أنه سيسقي ربه خمرًا، بمعنى أنه سيكون ساقي الملك والمقرب منه، وفي الواقع حصل هذا الأمر، كما فسره يوسف ـ عليه السلام ـ بحذافيره. إذًا هنا نستطيع أن نسمي هذا تفسيرًا؛ لأنه فيه المآل الذي سوف يصل إليه صاحب الرؤيا بدقة متناهية.

وهناك أمر آخر، إذ إن تعبير النبي أو الرسول يكون في غاية الدقة، ويكون بتفاصيل كثيرة، على سبيل المثال ننظر كيف عبر يوسف ـ عليه السلام ـ رؤيا السجينين، وذكر فيها بعض التفاصيل، فإذا قارنّا هذا التعبير للرؤيا، وتعبير يعقوب ـ عليه السلام ـ (بحسب اجتهاد بعض المفسرين)، نجد أن رؤيا يوسف تعبيرها كان مغايرًا، وليس فقط عندما نقارن رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ بل إذا قارنّا باقي الرؤى التي ذكرت في سورة يوسف.

ومثالٌ آخر في نفس السورة، وهي رؤيا ملك مصر أيضًا عبرت، وعبرها يوسف ـ عليه السلام ـ بل إنه ـ عليه السلام ـ أسهب في تعبيرها وشرحها وبيانها. يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ

أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وهنا جاء التعبير مباشرة من غير فاصل: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾[2] .

نعود للنقطة التي ذكرناها سابقًا، لو قارنّا هذا التعبير بتعبير رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ لوجدنا أن رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ تعبيرها كان مغايرًا.

إذًا نستطيع أن نقول أن رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ كان تعبيرها مختلفاً، مع العلم أنه جاء تحققها[3].

---

(١) سورة يوسف الآية (٤٦).

(٢) سورة يوسف الآيتان (٤٧، ٤٨).

(٣) تحقق الرؤيا: نقصد به المآل الذي أصبح واقعًا، أي صار حقيقة أو انتقل إلى عالم اليقظة بعد ما كان في عالم الغيب، فهو ما يحصل في المستقبل، أما التعبير: فهو اجتهاد المعبر في فك رموز هذه الرؤيا، ومحاولة معرفة ما الذي سوف تؤول إليه، فهناك فرق بين التحقق والتعبير فهذه حقيقة صارت على الواقع وتلك تفرس وإلهام.

يقول صاحب أضواء البيان في تعليقه على الآية التي ذكر فيها رؤيا يوسف ـ عليه السلام: "لم يبين هنا تأويل هذه الرؤيا[1]، والعجيب أنه قال: "ولكنه بينه في هذه السورة في قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ﴾[2] .

ويقول الإمام السعدي ـ يرحمه الله ـ في معنى الآية السابقة الذكر (فهذا وقوعها الذي آلت إليه ووصلت)[3] ، بمعنى أنه ليس تعبيرًا ولكن تحققًا للرؤيا.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣٩/٣)، وقال صاحب التحرير والتنوير، ولم يعلم يوسف تأويلها إلا يوم قال:﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ﴾ سورة يوسف الآية (١٠٠) يشير إلى سجود أبويه له (٢١٨/٢٣).

قلت: إن هذا الرأي يدل أن رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ لم تعبر، وأن يوسف ـ عليه السلام ـ لم يسمع تعبيرها والله أعلم.

(٢) سورة يوسف الآية رقم (١٠٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٠٥).

وإذا دققنا نجد أن قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1]، يستدل به على تحقق رؤيا يوسف . عليه السلام . لا تعبيرًا لرؤياه، فهناك فرق بين تعبير الرؤيا وبين تحقق الرؤيا، ويدل على ذلك عدة أمور منها:

١ . أن يوسف . عليه السلام . لما قال ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ ﴾ لم يقلها . عليه السلام . إلا بعد تحقق رؤياه (بمعنى أن الموقف هنا تحقق للرؤيا التي رآها) مع العلم أنه كانت هناك بوادر في تحقق رؤياه عندما عبر رؤيا السجينين ورؤيا الملك؛ فقد جاء أن يعقوب . عليه السلام . بشره بأنه سيكون معبرًا بحسب أقوال بعض المفسرين، لماذا لم يتذكر في هذا الموقف تعبير يعقوب . عليه السلام . وتبشيره؟!

أيضًا في الآية الكريمة ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى ۚ ﴾ لم يذكر تعبير الرؤيا التي رآها. أو أنه قال هذا تأويل رؤياي بعد تحقق كل التعبير

---

(١) سورة يوسف الآيتان: (٩٩، ١٠٠).

بإجماله، أو أن المقصود ليس تعبير الرؤيا في تعليق يعقوب ـ عليه السلام ـ على رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ كما أوردنا في بحثنا هذا، ولعل الموقف لما رأى أباه كان أولى بأن يتذكر تعبير رؤياه والله أعلم.

٢ ـ قوله تعالى في قصة يوسف: ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ الإشارة هنا تدل على أن الرؤيا صارت حقيقة على أرض الواقع (وليس التعبير)، فنعود للشرح الأول، أن المقصود هنا هو تحقق للرؤيا والله أعلم، لذلك ذكر الإمام الطبري في الأقوال في تفسيرها قوله (هذا تحقيقها)[١] أي تحققًا لرؤياه ـ عليه السلام ـ على الواقع.

غير أن هناك مواقف كثيرة لم تذكر في تعبير يعقوب ـ عليه السلام ـ لرؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ بتفاصيل واضحة ودقيقة، فلم يذكر في تفسيره أنه سيكون ملكًا ومسئولاً كبيرًا مثلاً، وأنه سوف يتعرض للفتن أو يسجن.

وكأن الموقف يحكي فصلاً من المحادثة التي كانت بين يوسف ويعقوب ـ عليهما السلام ـ أن هذا الحدث هو تحقق لرؤياي التي رأيتها قبل أربعين سنة.

وكان هذا أول ما لفت انتباهي (لماذا تعبير رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ كان مغايرًا) وبدأت أبحث في هذا الموضوع وكنت أفكر، يا ترى ما

---

(١) نقل الطبري في تفسيره: قال ابن زيد في تفسير قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ ﴾هذا تحقيقها (٨/٢٠٤)، ..... بمعنى أنه ليس تعبيرها والله أعلم.

الخطب؟ وبدأت الأسئلة والأفكار تتزاحم في ذهني، وبدأت أقف وقفات المتأني لأتعرف على الأمور بدقائقها حسب استطاعتي وجهدي جهد المقل.

المطلب الثالث: لماذا تعبير رؤيا يوسف عليه السلام كان مختلفاً أو غير واضح ؟

وإجابة تفصيلية على السؤال السابق نجد أن هناك عدة أسباب:

الأول: أن قول يعقوب ـ عليه السلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾، أن هذا جزء فقط من تعبير الرؤيا في أقوى الاحتمالات ـ إن لم يكن تعبيرًا. فضلاً على أن هناك رأي آخر لمفسرين أفذاذ[1]، لا يرون في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾، أنها تعبير لرؤيا يوسف ـ عليه السلام.

الثاني: أن تعبير الرؤى في القرآن الكريم يأتي واضحًا، وهذا يتضح بالرجوع إلى باقي الرؤى في نفس سورة يوسف ـ عليه السلام ـ وفي غيرها.

الثالث: أن تعبير الرؤى يأتي بعد سرد الرؤيا.

الرابع: لعل تعليق يعقوب ـ عليه السلام ـ في هذه الآية من وحي النبوة، وليس تعبير تفَرُّسٌ منه، فقال ما وجب عليه فقط فلم يزد.

الخامس: لم يكن هناك تفصيل في تعبير الرؤيا حتى لا يصاب يوسف ـ عليه السلام ـ بشيء في نفسه على إخوته، فالرؤيا تسر ولا تغر،

---

(١) انظر ص (٧٣).

فلم يبين له أنه سوف يكون أفضل إخوته أو فوقهم، أو سوف تكون أنت الأعلى منهم.

السادس: ولعل التفصيل في التعبير ليس صحيحًا، ويكتفى بالاختصار.

السابع: لعل من الأسباب أن ذلك يحكي القصة نفسها، لأن رؤياه . عليه السلام . جاءت اختصارًا لما سيحدث وما سيكون عليه الحال، فإذا عبرت رؤياه بإسهاب، ألغى ذلك أسلوب التشويق لمعرفة ما ستؤول إليه القصة، لأن تأويلها سوف يكون بعد سرد رؤياه . عليه السلام . مباشرة، بمعنى أنه سيكون تعبيرها في بداية السورة، وهذا يلغي أسلوب ترغيب القارئ، وتشويقه لمتابعة الأحداث التي امتدت من بداية السورة وحتى نهايتها، ولا شك أن ذلك يقوى لو علمنا أن من أساليب القرآن الكريم أسلوب التشويق وخصوصًا في القصص.

الثامن: يحتمل أن تعبير رؤيا يوسف . عليه السلام . كان مغايرًا لكي لا يحسد، فإخوته علموا شيئًا يسيرًا عن أمره فحسدوه، فما بالكم لو علموا الكثير؟ لعلهم كانوا قتلوه.

التاسع: أن يعقوب ـ عليه السلام ـ ذكر الأمور التي تعبر تعبيرًا حسنًا، وتجاوز عن تعبير الأمور المزعجة[1].

العاشر: أن تعبير الرؤيا مبنيٌّ على الظن لا اليقين فلا نستطيع الجزم[2].

الحادي عشر: ولعل يعقوب ـ عليه السلام ـ ركز على أهم معنى للرؤيا التي رآها يوسف ـ عليه السلام ـ ولم يلتفت لغيره من المعاني.

وبعد أن ذكرنا بعض الأسباب التي تدل على أن تعبير رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ كان مغايرًا، أو عدم وضوح تعبيرها، سنقف مع رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ وقفات يسيرة؛ كلمة كلمة، ورمزًا رمزًا، ونربط ذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، وسوف نجد أن هذا الدين العظيم دين مترابط ببعضه ارتباطًا وثيقًا، بل إن كثيرًا من المواضيع لها علاقة ببعضها، ولكن ينقصنا من يجتهد ليجد العلاقة بين تلك النصوص ويربط بينها، ونسأل الله أن يوفقنا لذلك. وسنربط كل إشارة من إشارات الرموز في رؤياه ـ عليه السلام ـ بقصته وحياته والمواقف التي عاشها.

---

(١) لا يوجد دليل واحد على أن الرؤى تعبر على المحمل السيئ ؛ لا في كتاب الله العظيم، ولا في سنة رسول الله ـ عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ فكل التعابير التي جاءت في الشريعة السمحة محمولة على المحمل الحسن، راجع ص (٣٥) من هذا الكتاب.

(٢) انظر ص (٣٥).

ولكي نشبع النص بالفوائد سنجعل رؤيا يوسف . عليه السلام . على أقسام ونشرح كل قسم على حدة، ولنجعل هذا هو القسم الأول وسنسلط الضوء عليه...

رأى يوسف. عليه السلام. أحد عشر كوكبًا....

الفصل الثاني

معاني رموز رؤيا يوسف عليه السلام

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الإشارات الخاصة بيوسف عليه السلام

المبحث الثاني: الصفات المتعلقة بإخوة يوسف عليه السلام

المبحث الثالث: الشمس والقمر والسجود

المبحث الأول

الإشارات الخاصة بيوسف عليه السلام

المطلب الأول: الإشارة من معنى العصبة والعدد أحد عشر؟

فيا ترى ما الذي ترمز إليه جملة أحد عشر، وهل ترمز لعدد إخوته فقط؟

﴿ أَحَدَ عَشَرَ ﴾ ما فوق العشرة، أو العشرة وما فوقها وحتى العدد الأربعين، في اللغة يعني العصبة[1].

وأقرب الأقوال في مقدارها قول الإمام مجاهد ـ يرحمه الله: إنه من عشرة إلى خمسة عشر[2].

ورمز العصبة رمز قوي وله دلالات كثيرة، وبداية لا يستهان بها للتعرف على أسرار ومكنونات رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ ولا سيما أن هذا الرمز جاء في بداية الرؤيا، وهو رمز يخص إخوة يوسف.

ومما يعنيه هذا الرمز أن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ كانوا يدًا واحدة متكاتفين مع بعضهم متعصبين لأنفسهم[3]، فلعبهم وأكلهم وذهابهم وإيابهم كل ذلك يكون وهم سويَّة.

---

(١) لسان العرب (٩/٢٣٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٠/١٧٧).

(٣) وقد تنبه لهذا المعنى الإمام البغوي ـ يرحمه الله تعالى ـ حيث يقول في معنى العصبة: جَمَاعَةٌ يَتَعَصَّبُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ لا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا كَالنَّفَرِ وَالرَّهْطِ. انظر: تفسيره (٢/٤١١). وذكر صاحب الكشاف: سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور،= واتفق معه الإمام

وقوع معنى رمز العصبة (المستنبط من جملة أحد عشر) على لمحات من قصة يوسف ـ عليه السلام:

وبالاستقراء لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ نجد أن إخوته كانوا عصبة عليه (أي ضده)، بمعنى أنهم جميعهم كانوا متفقين على كرهه، وبين طيات السورة الكريمة تجد ذلك واضحًا، يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1] وقوله تعالى: (إذ قالوا) (يعني: كلهم؛ فقالوا تستعمل للجمع دون الفرد)، والعجيب أن أحدًا لم يعارض ذلك، كلهم يفكرون تفكيرًا واحدًا، فهم عصبة، والسياق القرآني دقيق جدًّا، فجاء بلفظ قالوا على تعاونهم جميعًا، ولم يذكر في قصة يوسف أن أحدًا من إخوته كان على خلاف هذا التفكير الذي كان يتوجه للانتقام من يوسف ـ عليه السلام ـ بطريقة أو بأخرى، والغاية عندهم إبعاد يوسف عن أبيهم بأية وسيلة.

وآية أخرى تظهر لنا التزامهم بالتنكيل بيوسف ـ عليه السلام ـ بالكذب على أبيهم؛ يقول تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ

الرازي في التفسير الكبير (٧٤/١٨)، وزاد صاحب الكشاف: ويستكفون النوائب (٤٢١/٢).

(١) سورة يوسف الآية (٨).

عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾[1] وهنا أيضًا جميعهم اتفقوا عليه، ولاحظ كلمة عصبة التي تعني العدد الذي يساوي العشرة فأكثر، وقد تكررت مرتين في هذه السورة الكريمة، في الآية السالفة الذكر، وفي قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[2]، لو كان عدد إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ أقل من العشرة أو الأحد عشر كما جاء في بداية رؤياه ـ عليه السلام ـ ، لما استُعملت لفظة عصبة، ولكانت لفظة أخرى تنوب عنها، لكن القرآن دقيق جدًّا فسبحان من أنزله.

والذي يتمعن ويستقرئ القصة يجد أن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ حتى في تجارتهم كانوا مع بعضهم يسافرون سويًّا من شدة تمسكهم ببعضهم بعضًا، ولم تذكر الآيات الكريمة شيئًا على حزنهم لفراقهم لأخيهم يوسف ـ عليه السلام ـ ولم يتذكروه، وذلك من شدة حسدهم له وسعادتهم باختفائه عن أبيهم.

ويجدر بالذكر هنا التنبيه على أن يكون الإنسان محتاطًا عندما يعاشر الأشخاص الجدد أو الجماعات التي لها وقت مع بعضهم بعضًا، وتحمل فكرًا معينًا سيكون هو دخيلاً عليهم، وستكون لهم مبادئ غير

---

(١) سورة يوسف الآية (١٤).

(٢) سورة يوسف الآية (٨).

مبادئه، وتفكيره غير تفكيرهم، مما سيجعل احتواءهم صعبًا، والتفاهم معهم أبعد ما يكون، فيحصل ما لم يكن بالحسبان من إسقاطه والعداوة له، وكثيرٌ من الأمور التي تعبر عن عدم رضاهم عنه.

ومن هنا يتبين لنا أن الرؤيا دلت على تحذير مما سيتعرض له يوسف من إخوته، وأنه ستكون عداوة فيما بعد، وهذا فقط باستقراء الإشارت في قوله تعالى: ﴿أَحَدَ عَشَرَ﴾، والذي يرمز للعصبة. وإن قال قائل: لماذا لم ينبه يعقوب ـ عليه السلام ـ ابنه يوسف لعلمه من رؤياه أنه سوف يصيبه ضرر من إخوته؟

وقد كان ذلك لعدة أمور لعل منها:

أن تعبير الرؤيا بالظن، والظن يخطئ ويصيب[1]، ولعله خشي من الخصومة بين الإخوة، ولعل ذلك خلاف المصلحة، فلم يحذر يوسف ـ عليه السلام ـ مما سوف يحصل له، ويااليت أن يتنبه مفسرو الرؤى لهذه النقاط، فلا يفسرون الشيء السيئ ، ولا ما يفرق بين الزوجة وزوجها، والأخ وأخيه، والله المستعان.

ولعل من أسباب عدم وضوح تعبير يعقوب لرؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ أن فيها أمورًا لا يوجد لها محملٌ حسنٌ[2]. ولنا وقفة مع قياس

---

(١) بينا ذلك بإسهاب في كتابنا هذا ص (٣٥).

(٢) تقدم معنا ص (٣٥).

تعبير رؤيا يوسف على المحمل الحسن لملك مصر، وأيضًا بعض الأحاديث التي تدل على ذلك، وهذا دليل على أن الرؤيا لا تعبر إلا على المحمل الحسن استشفافًا من كلام ربنا ـ عز وجل.

وجود الرمز أحد عشر في الرؤيا، يدل أنه لا بد على يوسف ـ عليه السلام ـ أن يكون حذرًا في التعامل مع إخوته، وهذا الذي لم يكن منه ـ عليه السلام ـ فكان تعامله مع إخوته على سجيته؛ لبراءته وطفولته وطيب نفسه ليقضي الله أمر كان مفعولاً، فهو رضي بالذهاب معهم ولم يعترض، وكان سعيدًا بذلك لحبه لإخوته، لكن الأمر كان واضحًا ليعقوب ـ عليه السلام ـ بتفاصيل أكثر وأعمق.

وكثير من الدلالات توحي أنه كان يخاف من حدوث شيء ما ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1].

ولعل هذا أيضًا من الأسباب التي جعلت يعقوب ـ عليه السلام ـ ينصح يوسف ـ عليه السلام ـ بألا يقص رؤياه على إخوته، وفي نفس الوقت هو لم يفصل في تعبيرها لأنها تدل على أن إخوته سوف يكونون عصبة ضده فيعرف يوسف ـ عليه السلام ـ نواياهم كخطوة استباقية للأحداث التي كانت منهم، وبمجرد معرفتهم لهذه النقطة سيزيد ذلك من حقدهم عليه، ولو عبرت الرؤيا سيتبين من تعبيرها أنه عرف نواياهم وعرف قدر الحسد الذي

---

(١) سورة يوسف الآية (١٥).

يحملونه عليه . عليه السلام . ومع هذا الحسد المتجذر في نفوس إخوته لابد أن يحصل أمرٌ يخشى منه، ولعل الأمر إذا اتضح ليوسف وفصل يعقوب . عليه السلام . في تعبيره لما يؤول إليه الحال مع إخوته، لعل هذا يجعل يوسف في حيرة من أمره، وفي صراع نفسي وعدم ارتياح، ويَقوَى الاحتمال الأول إذا علمنا أن الحاسد إذا عرف أنك تعرف أنه يحسدك، وقد تعرفت على طرقه للوشاية بك، يجعله يأخذ أسلوبًا آخر في التعامل معك، يتلوى به، ويكون أسلوبًا أشد مما كان يفكر فيه من قبل، فبدلاً من أن يضيعك أو يضايقك، يكون أسلوبه في التنكيل أشد، مثل التفكير بأن يسحرك، أو يتخلص منك بالقتل مثلاً، مع الأخذ بالاعتبار أن هذا الرأي كان مطروحًا للتخلص من يوسف . عليه السلام . فلا أفضل من أن يترك الأمر للقدر.

وهذا يظهر لنا باستقراء القصة، ومن الوهلة الأولى لقراءة رؤيا يوسف . عليه السلام . لا نستطيع استنتاج هذا الأمر إلا إذا تمعنا وتدبرنا في إشارات الرموز، وفك ألغاز هذه الرؤيا العظيمة، وكم من رؤيا ظلت رموزها طي الكتمان، ولو عبرت رموزها من معبر متفرس لأظهرت لأصحاب الرؤيا أشياء عظيمة تتحقق في حياتهم، فانظر رحمك الله إلى هذه الإشارات الدقيقة التي غابت عن الكثير.

المطلب الثاني: رمز الكواكب وإشاراتها العميقة، وفيه ستة فوائد.

وبعد أن علقنا تعليقًا يسيرًا على معنى الأحد عشر (وهو عدد إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ سواه (فجميعهم اثنا عشر مع يوسف)، ينتظرنا سؤال آخر من ضمن أسئلة كثيرة تحيط برؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ والجواب مكنون في فك رمز الكواكب والبحث في إشاراتها لأن لها أكثر من إشارة وليس إشارة واحدة فقط.

وهل هذا الرمز يرمز لإخوته فقط؟!

وعلى ماذا يدل تشبيه إخوة يوسف بالكواكب؟!

لا بد أن هناك عالم آخر من الفوائد تدل عليه هذه الكلمة وهذا الرمز العميق!

ولا بد أن هناك حكمة من إطلاق كلمة الكواكب في هذه الآية الكريمة، فما هي؟

دعونا نتعمق سويًّا ونبحث وندقق بحيث نصل إلى نقاط نشبع فيها رغباتنا الإيمانية وفضولنا الفكري :

الكواكب أو (النجوم)[1]، ترمز لمعانٍ كثيرةٍ في المنام، ولكنني سوف أقرب الفكرة أكثر، ونرى ما الذي تشير إليه الكواكب في رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ، مستدلاً بصريح آيات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، في ذكر الكواكب بين طياتهما.

شبه إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ في الرؤيا بالكواكب، ورأى يوسف أن هذه الكواكب تسجد له.

إذًا من حيثيات هذه الرؤيا نأخذ عدة إشارات ودلالات لهذين الرمزين (الكواكب والسجود)، ومن هذه الدلالات ما هو مقرونٌ بيوسف ـ عليه السلام ـ لأنه هو صاحب الرؤيا. ومنها ما هو مقرون بإخوته لأنهم هم من شُبِّهوا بالكواكب.

بمعنى أن هناك بعض الدلالات التي كان إخوته يتصفون بها ويتشاركون فيها مع بعض (إشارات) صفات الكواكب.

ودلالات أخرى كان يتصف بها يوسف ـ عليه السلام ـ وأمور مستقبلية سوف تأتيه وتكون من صفاته، ودلالةٌ على مكانته التي تشير إليها بعض معاني الكواكب أيضًا، ووجه الاستدلال بأنه رأى الكواكب في رؤياه

---

(١) لسان العرب (٥٩/١٤): يراد بالكواكب النجوم، وانظر: معارج التفكر ودقائق التدبر (٦٠٩/١٠)، وأيضًا ذكرت النجوم بلفظة المصابيح، وبلفظ البروج، وهناك كتب اهتمت بتلك الوقفات البيانية مثل كتاب: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبدالعظيم إبراهيم مُحَمَّد المطعني.

أنها سجدت له، ومن العجيب أن هذين الرمزين وغيرهما من الرموز في رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ تحتمل أكثر من إشارة، فهذا معنى يدل على الجمال، وآخر على المشقة والتعب والشدة، وسوف نسردها هنا بالتفصيل إن يسر الباري.

ولنبدأ بالإشارات التي تُحْمَلُ على المحملِ الحسن.

ولنجعلها بدايةً بالدلالات والصفات التي تكون ليوسف ـ عليه السلام ـ ونثني بعد ذلك بالصفات التي تكون لإخوته.

أولاً:(الوصول للعظمة) من أول هذه الإشارات لمعنى الكوكب

وهو الرمز الركيز[1] في رؤيا يوسف ـ عليه السلام:

كيف يكون معنى العظمة مستوحى من رمز الكواكب؟ وهل هناك دليل على ذلك؟

يتبين ذلك عندما نعلم أن رب العزة ـ تعالى وتعظم ـ لما وصف نوره ـ جل وعلا ـ ذكر الكوكب، يقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ ﴾[2] (من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل)، والله ـ جل وعلا ـ عظيم وذو سلطان، فلعل ذكر الكوكب له أثر على المنصب العظيم والسلطة أيضًا ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[3]، والعظيم سبحانه لا يصف نفسه إلا لعظمته سبحانه وما يتناسب مع تلك العظمة، والمستقرئ لقصة يوسف ـ عليه السلام ـ يجد أن السلطة والعظمة تحققتا ليوسف ـ عليه السلام ـ في عدة مواقف، منها على سبيل المثال:

---

(١) انظر النموذج (٢) حيث إن جميع معاني رموز الرؤيا تتقابل عند معناه.

(٢) سورة النور الآية (٣٥).

(٣) سورة الشورى الآية (١١).

. في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] .

. وفي قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2].

ومن الأدلة على عظم الكواكب أن الله . عز وجل . أقسم بالنجم الذي هو الكوكب، والقسم لا يكون إلا للشيء العظيم[3] والذي له أهمية ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[4] والله تعالى يقسم بما يشاء من خلقه[5] ولا يكون ذلك للبشر.

وإن قال قائلٌ: لماذا إشارة العظمة لا تأتي بأن إخوة يوسف . عليه السلام . كانوا عظماء، فنقول: الرمز لا يؤخذ لوحده ولكن بقرائن، وهذه القرائن لا تجعلنا نقيس العظمة لهم، غير ذلك أن هذه الكواكب سجدت،

---

(١) سورة يوسف الآية (٥٦).

(٢) سورة يوسف الآية (١٠٠).

(٣) راجع كتاب الانتصار للقرآن (٢/٧٩٩).

(٤) سورة النجم الآية (١).

(٥) انظر تفسير جزء عم للشيخ بن عثيمين رحمه الله (١/١٥٠) .

والعظمة لا تكون لمن يسجد للآخر، ولكن يكون السجود للمعظم، وتحليل آخر؛ أنهم كانوا من عظماء قومهم ولكن عظمتهم لا تساوي شيئًا أمام العظمة التي سوف تكون ليوسف ـ عليه السلام.

وكوكب وكواكب ذكرت في عدة مواضع في كتاب الله كلها في مواقف عظيمة، وكل هذا يدل على أن الكواكب تشير للعظمة.

والكواكب تدل على إشارات أخرى غير العظمة منها على سبيل المثال:

ـ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾[1].

ـ وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾[2].

(١) سورة الصافات الآية (٦).

(٢) سورة الحجر الآية (١٦).

والآية الكريمة: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[1]،دلت هنا على الزينة والجمال[2] ﴿ وَحِفْظًا ۚ ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾[3]، دلت هنا على العلامة والدلالة والاستدلال، ولأنه من المخلوقات التي تبهر بعظمة خلقها.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾[4] ، وجاءت هنا للتعبير عن أهوال يوم القيامة فهي علامة من علاماتها.

والتفكر في خلق السماء يتكرر كثيرًا في كتاب الله؛ لعظمتها وعظم ما فيها من الآيات، ومنها الكواكب، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[5] .

---

(١) سورة فصلت الآية (١٢).

(٢) انظر قول قتادة من هذا الكتاب ص (١١٧).

(٣) سورة الأنعام الآية (٧٦).

(٤) سورة الانفطار الآية (٢).

(5) سورة آل عمران الآية (١٩٠).

وهناك لطيفة جميلة ذكرها الإمام السمعاني في تفسيره: شبهه بالكواكب، ولم يشبهه بالشمس والقمر؛ لأن الشمس والقمر يلحقهما الكسوف والخسوف، والكواكب لا يلحق بها[1].

(١) تفسير السمعاني (٢/٥٣٠).

ثانياً: من إشارات معنى الكواكب الهمة العالية، والطموح الكبير

. إن من معاني رؤياها في المنام ما يدل على الهمة العالية، والطموح الكبير.

يقول المتنبي[1] متمثلاً ببيتٍ جميل يَقرِنُ فيه الهمة العالية مع ذكر النجوم:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

فالنجوم يضرب بها المثل على الهمة العالية.

ألم يذكر في الآية الكريمة أن الكواكب تسجد له؟ ومن البلغاء من عرف الكواكب بأنها النجوم، وها هو المتنبي يربط الهمة العالية بالنجوم؛ لأنها من الأشياء التي تعلو علينا، والوصول لها يحتاج إلى مشقة وهمة وجهد كبير، فجمع ذلك بين الهمة العالية والطموح الكبير اللذين يتمتع بهما يوسف . عليه السلام . لا محالة.

ولو لاحظنا قياسًا علميًّا وفلكيًّا، سنجد أن الكواكب فوقنا وأعلى مِنَّا، والوصول إليها لا يكون إلا بالنظر ونحن على الأرض، والطلوع لها إن صح يكون بجهد كبير جدًّا، وهمة عالية وتكلفة ضخمة للغاية تصل إلى ملايين المصروفات.

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري (١/١٦٦).

. وقوع معنى دلالة الهمة العالية والطموح الكبير ليوسف . عليه السلام . في قصته :

لو قارنَّا ذلك بما كان ليوسف . عليه السلام . سوف نجد أن هذا ما حصل له بالفعل، فكانت همته عالية وطموحه كبيرًا، ويدل على ذلك طلبه من ملك مصر في ذلك الوقت أن يجعله على خزائن الأرض، ويتضح هذا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾[1]، ولا يتقدم لمثل هذا الطلب إلا من كان طَموحًا وذا همةٍ عالية.

ومن طموحه الكبير أيضًا أنه صار له مناصبٌ عدة، حتى وصل به الأمر أنه . عليه السلام . كان هو الآمر الناهي في مصر[2].

ومن قبل ذلك نصيحته للسجناء، فمن له القدرة على النصح وهو سجين محروم بين جدران معدودة إلا من كان ذا همةٍ عالية ؟!.

فتبين بعد التحقيق أن من إشارات رؤيا الكواكب ما يدل على المناصب العالية في الدنيا، وهي المناصب التي وصل إليها يوسف . عليه السلام . هذا غير همته . عليه السلام . بالصبر على الابتلاءات التي مرت به من ظلم إخوته، والسجن الذي تعرض له.

---

(١) سورة يوسف الآية (٥٥).

(٢) القصص القرآني للدكتور صلاح الدين الخالدي (١٨٢/٢).

ورأس الأمر، أن همته العالية جعلته يقف على قدميه من جديد، ولم يجعل من تلك المواقف ما يؤثر عليه سلبًا.

ثالثاً: الشهرة وانتشار الصيت

ومن الدلالات والإشارات التي تؤخذ من معنى الكواكب الشهرة وانتشار الصيت:

يقول ـ ﷺ ـ وهو يصف الحوض: (حوضه ما بين صنعاء والمدينة) فقال له المستورد: ألم تسمعه؟ قال: الأواني؟ قال: لا، قال المستورد: (ترى فيه الآنية مثل الكواكب)[1].

يقول صاحب كتاب عمدة القارئ: فِيهِ الآنِية مثل الْكَوَاكِب، أَي: كَثْرَة وضياء[2].

الشاهد هنا، أن لفظة الكواكب أشارت هنا للكثرة والضياء وأن هذا من معانيها.

يلاحظ أن من الميزات الأخرى في الكواكب لمعانها وانتشارها، فالكواكب تلمع في السماء وتكون منتشرة، ونراها كذلك ونحن بعيدون عنها على سطح الأرض، بل صار هذا اللمعان صفة من صفات يوسف ـ عليه السلام ـ فكان مشهورًا لامعًا في الأرض، كما أن الكواكب لامعة في السماء، وانتشر صيته وقصته أيضًا.

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم [٦٥٩٢] (١٢١/٨).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٤٤/٢٣).

وقوع دلالة الشهرة وانتشار الصيت على يوسف ـ عليه السلام:

حتى يومنا هذا، الكثير يعرف قصته بالتفصيل وبدقائقها، وليس عندنا نحن المسلمين فقط، بل تعدى ذلك كثيرًا من الديانات، وما أكثر المصنفات التي درست قصة يوسف ـ عليه السلام ـ التي تعد بالعشرات، والفوائد منها بالمئات بل بالآلاف، وكل هذا يدل على الشهرة التي يرمز لها في كثير من الأحيان باللمعان، فرؤية الكواكب تدل على أن سمعة الإنسان سوف تكون مشهورة .. لامعة .. ومضيئة، ألم تقرأ عن إعجاب العاملات والوصيفات به، وانتشار خبر حب امرأة العزيز له، وكل هذا من الشهرة: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، وهذا ما كان؛ فسيرته ـ عليه السلام ـ على كل لسان، وسمعته مضيئة مثل الذهب في لمعانه، والعجيب أن اللمعان يظهر أكثر وسط السواد والذي يعبر عن ضوء الكوكب وسط السماء الذي لعله يعبَّر عن الأيام العصيبة التي عاشها ـ عليه السلام ـ وهو كان مضيئًا فيها.

حتى وإن كان الموقف في غير صالحه، فإنه يدل على شهرته في القصر بجماله أمام العاملات.

والكواكب لإضاءتها؛ سماها المولى ـ عز وجل ـ بالمصابيح:

---

(١) سورة يوسف الآية (٣٠).

في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ ﴾[1]، وهذا على أن الكوكب هو النجم.

وسنذكر حديثًا لعله يستشهد به على ضوء الكواكب والذي يزيدها لمعانًا، يقول الرسول ـ ﷺ: (لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطّلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم)[2]، الحديث يعني أن النجم له ضوء، ولعل هذا الضوء هو سبب اللمعان (سواء كان هذا الضوء يصدر منها أو منعكسًا من إضاءة أخرى).

وهذا ما تنبه له البلغاء الأولون أن الكوكب له ضوء، يقول البحتري الشاعر الفحل في إضاءة الكوكب في وسط الليل الدامس؛ أي لمعانه في الليل:

كالكوكب الدري أخلص ضوؤه حلك الدجى حتى تألق وانجلى

---

(١) سورة الملك الآية (٥).

(٢) مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط (٦٨/٣)، حديث رقم [١٤٦٧]، والحديث حسن، انظر المرجع نفسه.

وتوحي إلينا كلمة تألق بفائدة أخرى من الفوائد المتعلقة بالكواكب: وهي التألق والجمال، وهذا ما سيوحي لنا بفائدة في قمة الروعة، والتي سوف نذكرها في طيات هذا البحث، ولكن بعدما ننتهي من القسم الذي يتعلق بيوسف ـ عليه السلام.

رابعاً: الانتصار يؤخذ من الكواكب:

في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ [1] وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا [2] لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ انظر[3] الكواكب ترجم الشياطين فالله ـ جل وعلا ـ أرسلها لتكون سببًا لتدحض الباطل، وهذا ما حصل فدحضت كثيراً من الباطل، وهذه الآية تعطينا إشارة لمعنى آخر للنجوم حيث إن الشيطان لا يأتي إلا بالباطل؛ فهو يوسوس للإنسان بعصيان ربه، بل الكفر بربه، وهو يسترق السمع ليجعل الناس في ظنهم أنهم يعلمون الغيب، والله جعل الكواكب سببًا لإزالة هذا الباطل وإظهار الحق، بمعنى الانتصار للحق، فالله الجليل جعلها رجومًا للشياطين.

---

(١) المصابيح هي النجوم، وعند الإمام الطبري: وهي النجوم ـ أي المصابيح ـ وجعلها مصابيح لإضاءتها (٣/٢٩)، ومنهم من يقول: إن المصباح: الرئيسُ أو قيّمُ أهل الدار، وربما كان ولدًا إذا رأت الحامل أنها أُعْطِيَته، شمس العلوم (٣٦٥٧/٦).

(٢) وقيل: إن الضمير راجع إلى المصابيح على أن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يسقط الكوكب نفسه إنما ينفصل منه شي يرجم به من غير أن ينقص ضوؤه ولا صورته. قاله أبو علي جوابًا لمن قال: كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى. هي زينة قبل أن يرجم بها الشياطين (بتصرف تفسير القرطبي ٢١١/١٨)، وكما سبق أن من بلاغة القرآن أن الكلمة لها أكثر من معنى.

(٣) سورة الملك الآية (٥).

خامسًا: الدراية في أمور الزراعة تؤخذ من معاني رمز الكواكب

يقول تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾[1] .

ولو أمعنا النظر ودققنا الفكر لوجدنا أن رؤيا الكواكب تدل على أمر يتعلق بالخبرة الزراعية، فدراسة أوقات زراعة الثمر وحصاده يحتاج إلى خبرة في مواقيتها، والتي تؤخذ من الكواكب كعلم للتسيير وليس للتأثير[2]، فكل ثمرة لها وقت معين، إما شتاءً أو صيفًا، بل بعض الفواكه

---

(١) سورة النحل الآية (١٦).

(٢) يقول الإمام ابن رجب ـ يرحمه الله: (وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزًا عند الجمهور، وما زاد عليه فلا حاجة إليه، وهو يشغل عما هو أهم منه)، فضل علم السلف على الخلف ص (١٣).

ويقول العلامة ابن عثيمين ـ يرحمه الله ـ في شرحه على كتاب التوحيد: (وعلم النجوم ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم التأثير: وهو أن يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية؛ فهذا محرم باطل لقول النبي ـ ﷺ: "من اقتبس شعبة من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر"، وقوله في حديث زيد بن خالد: "من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب"، ولقول النبي ـ ﷺ ـ في الشمس والقمر: "إنهما آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته"، فالأحوال الفلكية لا علاقة بينها وبين الحوادث الأرضية.

الثاني: علم التسيير: وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات؛ فهذا جائز، وقد يكون واجبًا أحيانًا، كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر، قال تعالى: ﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (النحل: ١٥)، فلما ذكر الله العلامات الأرضية انتقل إلى العلامات السماوية؛ فقال تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ (النحل: ١٦)، فالاستدلال بهذه النجوم على الأزمان لا بأس به، مثل أن يقال: إذا طلع

تحتاج دقة في وقت زراعتها، ولعل يوسف ـ عليه السلام ـ كان خبيرًا في الزراعة، وخبرته كانت كبيرة جدًّا.

بل إن من معاني الكوكب اللغوية: شيء في النبات، عن أَبي حَنِيفَةَ. قَالَ: إِنما الكَوْكَبُ نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ [1] .

وقوع دلالة معنى الرمز على قصة يوسف ـ عليه السلام:

تفسير رؤيا ملك مصر في ذاك الوقت دليلٌ بيّن، بل إن هناك دقائق لا يعرفها إلا من كان له باعٌ كبيرٌ في مجال الزراعة والمحصول، وهي نصيحته ـ عليه السلام ـ لما قال لهم: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾[2]، ولعل من أسباب هذه النصيحة الخبرة السابقة في الزراعة، بل إن هذه المشورة تبين مدى الخبرة الكبيرة بمعرفة تخزين المحاصيل أيضًا، ولو كان في زمننا لأُعطي أصحاب اكتشاف كهذا جوائز جمّة،

النجم الفلاني دخل وقت السيل ودخل وقت الربيع، وكذلك على الأماكن؛ كالقبلة، والشمال، والجنوب. انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٥١٩/١)، والأمر يطول شرحه ولعلنا نفرده في مؤلَّف إن يسر الباري.

(١) لسان العرب (٧٢١/١)، بتصرف.

(٢) سورة يوسف الآية (٤٧).

وعمومًا بنو إسرائيل الذي من سلالتهم يوسف . عليه السلام . قوم يعلمون الزراعة بدقائقها، بل لعلهم لا يضاهَوْن في هذا العلم.

سادساً: الهداية الشرعية والهداية الكونية

يؤخذ من رمز الكواكب (النجوم) الإشارة للهداية الشرعية والهداية الكونية:

يقول تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾[1].

التفكر فيها، وفي خلقها، والإيمان بخالقها . لا يستفيد منه إلا الموحد، أو مَن في قلبه هداية تقوده إلى الهداية الشرعية.

إن ما تقدم من خَلْق الله هو علامات تدلُّ على ضرورة أنْ تروا المنافع التي أودعها الله فيما خلق لكم؛ وتهتدوا إلى الإيمان بإله مُوجِد لهذه الأشياء لصالحكم[2].

ومن الهداية الكونية الاستدلال بمعرفة الفصول، ومنها الاستفادة في أوقات الزرع والحرث وقد تقدم ذلك، ومنها الاستدلال بها في معرفة الجهات[3] التي تدل الإنسان على الأماكن، ووجهاته الصحيحة في السفر، فهذه يستفيد منها المؤمن والكافر.

---

(١) سورة النحل الآية (١٦).

(٢) تفسير الشيخ الشعراوي . يرحمه الله (١٣/ ٧٨٥٢).

(٣) فلما ذكر الله العلامات الأرضية انتقل إلى العلامات السماوية؛ فقال تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ (النحل: ١٦)، فالاستدلال بهذه النجوم على الأزمان لا بأس به، مثل أن يقال: إذا طلع النجم الفلاني دخل وقت السيل ودخل وقت الربيع،

ومن العجيب أن الرؤيا التي رآها يوسف ـ عليه السلام ـ ليس فيها كوكب واحد أو نجم واحد، بل ذكر فيها ثلاثة عشر كوكبًا أو نجمًا، وهذا يدل على معلومة أخرى؛ حيث إن معرفة الفصول أو الجهات في الغالب لا يعتمد فيها على دارسة كوكبٍ واحدٍ فقط، بل على مجموعة من الكواكب، كتحديد جهة الشمال أو الجهات عمومًا، وهكذا.

والذي يستفيد من علم النجوم لمعرفة الطريق سوف يصل بدقة، ولعلها إشارة إلى الوصول الموفق للهدف المنشود.

ويوسف ـ عليه السلام ـ وصل إلى أهداف كثيرة بنجاح ومهارة وتوفيق، ولعل رؤيا النجوم في المنام بشارة على الوصول إلى الهدف المنشود.

فقد رسم يوسف ـ عليه السلام ـ لنفسه خططًا لمستقبله ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾[1] فكان له هداية التوفيق والنجاح، غير أنه خطط لمصر وتطويرها، وكان مصيبًا في ذلك ـ عليه السلام ـ وقد وصل إلى طريق صحيح ورفعة عالية.

وكذلك على الأماكن؛ كالقبلة، والشمال، والجنوب، انظر القول المفيد على كتاب التوحيد (٥١٩/١).

(١) سورة يوسف

ولو عدنا لكتاب الله ـ عز وجل ـ لوجدنا أن أكثر الآيات التي تحضنا على التفكر في خلق السماوات التي في طياتها الكواكب والنجوم والشمس والقمر، لما فيها من بديع صنع الخالق وآياته ودلائل كونية عظيمة يقف العقل عاجزًا أمامها، فيا ترى ما السر وراء كل ذلك؟

إلى هنا ونحسب أن الخواطر التي تتعلق بقياس بعض صفات الكواكب ليوسف ـ عليه السلام ـ قد أخذت وقتًا لا بأس به، وليسمح لنا قارئنا الكريم أن ننتقل بعد ذلك إلى علاقة بعض صفات الكواكب بإخوة يوسف، وهو المحور الثاني من هذا المبحث.

المبحث الثاني

الصفات المتعلقة بإخوة يوسف عليه السلام

المطلب الأول: إخوة يوسف والجمال والكواكب

جاء ذكر الكواكب في آيات القرآن الكريم وفي أحاديث كثيرة في السنة النبوية أيضًا، ولعل من المناسب ربط هذه الأحاديث مع الآيات حتى تتضح الصورة أكثر، منها على سبيل الذكر لا الحصر:

الكواكب ترمز للجمال والزينة يقول تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾[2].

وقال الإمام قتادة ـ يرحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾[3]: خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به[4].

وقد مر معنى بيت للبحتري [5] يقول فيه:

كالكوكب الدري أخلص ضوؤه حلك الدجى حتى تألق وانجلى

---

(١) سورة الصافات الآية (٦).

(٢) سورة الملك الآية (٥).

(٣) السابق.

(٤) صحيح البخاري (١٠٧/٤).

(٥) في الأدب الحديث (٢٦٠/٢) عمر الدسوقي، ط. دار الفكر العربي.

وهذا يدل أيضًا على أن جميع إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ كان فيهم جمالٌ قياسًا على أن الكواكب تزين السماء وتجعلها جميلة، وهم وصوفوا بالكواكب، ولكن مما لا شك فيه أن أشدهم جمالاً هو يوسف ـ عليه السلام.

ومن التعاريف اللغوية للكوكب أنه يعني: الغلام الحسن، قيل: غلامٌ كَوْكَبٌ ممتلئٌ إِذا تَرَعْرَعَ وحَسُنَ وجهُه؛ وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ لَهُ: بَدْرٌ [1].

(١) لسان العرب (٧٢١/١)، بل إن ابن منظور ـ يرحمه الله ـ أسهب في ذكر معاني الكواكب حتى إنه تعدى أكثر من خمسة عشر معنى!! فليرجع له.

وقوع دلالة الجمال على إخوة يوسف:

ولعل بشرتهم كانت بيضاء أيضًا، إذ هذا من الجمال، وهذا من كلام العرب (البياض في سواد العين)[1] ، وهو من معاني الكوكب وهذا قمة الجمال.

وهناك عدة قرائن [2]أخرى لصحة نظرية (جمال إخوة يوسف) منها:

١ . أن الإخوة أحيانًا يكونون شبيهين ببعضهم، وما دام أن يوسف . عليه السلام . كان في قمة الجمال، فإخوته سيكونون قريبين منه.

٢ . غير ذلك أن راحيل أم يوسف . عليه السلام . كانت جميلة أيضًا بل كانت هي الأجمل من بين أخواتها [3].

ومما يستأنس به، جزء من حديث ذكره الإمام البيهقي . رحمه الله: يقول ﷺ: (ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا أنا برجل أحسن ما

---

(١) الكوكب والكوكبة: النجم، كما قالوا: عجوز وعجوزة، وبياض وبياضة. قال الأزهري: وسمعت غير واحد يقول للزهرة، من بين النجوم: الكوكبة، يُؤَنِّثونها، وسائر الكواكب تُذَكِّر، فيقال: هذا كوكب كذا وكذا. والكوكب والكوكبة: بياض في العين. أبو زيد: الكوكب البياض في سواد العين، ذهب البصر له، أو لم يذهب. ... ويقول أيضًا: وغلام كوكب ممتلئ إذا ترعرع وحسن وجهه، (٧٢١/١) لسان العرب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(٢) علم القرائن علم قوي ونادر لم يفرد في مصنف، وأتمنى أن يكون له مصنف يستفيد منه المعبرون وغيرهم.

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في البداية والنهاية فقال: (فخطب إليه راحيل، وكانت أحسنهما، وأجملهما) (٤٤٩/١).

خلق الله قد فضل عن الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب. قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه....)[1].

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٣٩٠).

لاحظ المقارنة بين القمر والكواكب والدلالة على الحسن!!

ما يدل على أن في الاثنين جمالاً، وفيهما نور، ولكن القمر جماله أكثر ونوره أعظم، فدل ذلك على أن الكواكب فيها جمال، ولكن جمالها أقل من جمال القمر، وفيها نور ولكن نورها أقل من نور القمر.

٣ . ومن القرائن تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1]، **قال بعض المفسرين: لجمالهم [2] خاف عليهم من العين والله أعلم، وهنا أيضًا نكتة، أن الكلام عن الحسد ذكر مرتين في هذه السورة الكريمة عندما نصح يعقوب . عليه السلام . ابنه يوسف . عليه السلام . بألا يقص الرؤيا على**

---

(١) سورة يوسف الآية (٦٧).

(٢) يقول صاحب أضواء البيان . يرحمه الله . في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ ﴾، (يوسف: ٦٧).أمرهم في هذا الكلام بتعاطي السبب، وتسبب في ذلك بالأمر به؛ لأنه يخاف عليهم أن تصيبهم الناس بالعين، لأنهم أحد عشر رجلاً أبناء رجل واحد، وهم أهل جمال. وكمال وبسطة في الأجسام، فدخولهم من باب واحد مظنة لأن تصيبهم العين فأمرهم بالتفرق والدخول من أبواب متفرقة تعاطيًا للسبب في السلامة من إصابة العين؛ كما قال غير واحد من علماء السلف (٣٩٨/٣).

إخوته، وأخرى في الآية الآنفة الذكر، وسيكون لنا وقفة مع الحسد وعلاقته بالرؤيا في آخر المؤلَّف إن يسر الباري[1].

ولا مقارنة بين جمال يوسف وإخوته، يقول الشاعر[2]:

ألم ترَ أن السيف ينقص قدره إذا قيل أن السيف أمضى من العصا

ولاحظ أن الحديث السابق جاء فيه ذكر القمر والكواكب، وكذلك رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ فيها ذكر للقمر والكواكب.

(١) وفقنا لذلك بفضل الله، انظر ص (١٥٧) من بحثنا هذا.

(٢) من الأبيات المشهورة في المقارنة إذا كانت هناك مفارقة.

المطلب الثاني: إخوة يوسف عبّادٌ موحدون.. ليسوا علماءَ ولا أنبياءَ !!

يقول . ﷺ: (فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب)[1].

ومن هذا الحديث الشريف الصحيح نستنتج مسألة بل هو أول ما يظهر لنا بوضوح، إن لم تكن قاعدة، وهي: أن التشبيه بالقمر يكون للعالم، والعابد يشبه بالكواكب، لذلك لعل إخوة يوسف . عليه السلام . كانوا عبّادًا ولم يكونوا أنبياء ولا علماء، بعكس ما نص على ذلك بعض المفسرين[2]. والله أعلم، قياسًا على أن العابد يشبه بالكواكب، والعابد يدخل عليه الشيطان في كثيرٍ من الأمور، بخلاف العالم، وقصة يوسف . عليه السلام . مع إخوته واضحة، كيف أن الشيطان وسوس لهم برميه في الجب، ومعاذ الله أن يكون هذا التفكير لنبي من الأنبياء، ولاشك أن هذه قرينة ليست بالهينة، وأيضًا لعل القول الذي يرجح أن القمر يرمز للأب[3] له اعتبار لا يستهان به، وما نستطيع أن نستخلصه من هذه الدراسة، أن الكواكب لها أكثر من معنى، منها ما هو ليوسف . عليه

---

(١) راوه ابن ماجه برقم [٢٢٣] صححه الإمام الألباني . رحمه الله . في صحيح الجامع حديث رقم ٤٢١٢.

(٢) نقل ذلك الإمام الطبري في تفسيره عن ابن زيد (١٥٢/١٢)، وسماه ابن أبي حاتم في تفسيره عَبْدَالرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (٢١٠١/٧) قال عنه الحافظ ابن حجر: روى عن أبيه أحاديث موضوعة، انظر النكت على ابن الصلاح (٣١٨/١ . ٣١٩).

(٣) نقل ذلك الإمام البغوي في تفسيره عن ابن جريج (٤٠٩/٢).

السلام . (بدلالات سجودها له . عليه السلام) مثل الجمال، والرئاسة، والعظمة، والوجاهة في الدنيا، ومنها ما هو لإخوته. وهكذا كثيرٌ من كلمات القرآن الكريم لها أكثر من معنى وأكثر من مدلول.

المبحث الثالث

الشمس والقمر والسجود

وبعد أن سردنا الكثير عن الكواكب، وليس كل ما يتعلق بها، وهو رمز من بعض رموز الرؤيا.

ننتقل إلى رمزين آخرين مهمَّين في نفس رؤيا يوسف . عليه السلام . وهما الشمس والقمر، فيا ترى ما الإشارت الأخرى لرمزَي الشمس والقمر؟ وهل معناهما الأب والأم فقط، أم أن هناك أسراراً ومعانيَ أُخرى لهما؟!.

ويظهر لنا هنا تساؤل: لماذا جمعنا الرمزين الشمس والقمر في مبحث واحد؟ أو في دراسة واحدة؟ بينما كان في دراسة الرموز السابقة دراسة كل رمز على حدة؟

والجواب على ذلك: أن هذين الرمزين لهما علاقة مع بعضهما، والعلاقة تقدر بالوطيدة جدًّا، ذكرت الشمس مع القمر في كتاب الله في سبعة عشر موضعًا، ولها عدة معانٍ، ولعل هذا من أسرار اختيار هذين الرمزين للأب والأم على أن يكونا من معانيهما، فالأب والأم متلازمان ودائمًا مع بعضهما، هذا في الوضع الطبيعي، وأيضًا لهما طبيعة تختلف عن بعضهما، وهناك معانٍ خاصة لكلٍ من الشمس والقمر،كل على حدة، سنبينها من خلال هذه الدراسة اليسيرة.

المطلب الأول: يوسف ـ عليه السلام ـ حسابيٌّ بارع

الشمس والقمر وهما مجتمعان يشيران إلى (علم الحساب).

ولما جاء ذكر الشمس والقمر مجتمعان مع بعضهما، كان لذلك دلالاتٍ منها [١]: ما يستفاد منه في علم الحساب.

يقول تعالى: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾[٣].

---

(١) وهناك معانٍ كثيرة تستنبط من اقتران الشمس والقمر وذكرهما في آية واحدة على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ (الرعد: ٢)، يقول صاحب الكشاف: (يجري لأجل مسمى: تريد يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصًّا بإدراك أجل مسمى. ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر مختص بآخر الشهر، فكلا المعنيين ...، ثم قال : موضعه ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون)، الكشاف (٥٠٩/٣).

(٢) سورة الرحمن الآية (٥).

(٣) سورة يونس الآية (٥).

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾[1].

نلاحظ أنه جاء في الآيات الكريمة ذِكر الشمس والقمر، وذُكر فيها أيضًا الاستدلال بهما في علم الحساب، إذًا الأمر واضح في علاقة الشمس والقمر بعلم الحساب.

و"الحسبان" في كلام العرب جمع "حِساب"، كما "الشُّهبان" جمع شهاب، وقد قيل إن "الحسبان"، في هذا الموضع مصدر من قول القائل: "حَسَبْتُ الحساب أحسُبُه حِسابًا وحُسْبانًا". وحكي عن العرب: "على الله حُسْبان فلان وحِسْبته"، أي: حسابه[2]، فالمعنى هنا يدل على الحساب كمعنىً عامٍّ.

بماذا نستفيد من هذه المعلومة في الربط بين علاقة رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ وبعض المواقف التي حصلت له؟ وما كان له من أمور كثيرة في حياته!!

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٢).

(٢) تفسير الطبري (٧/٢٨٥)، وعند الزمخشري: وفي ذلك منافع للناس عظيمة؛ منها علم السنين والحساب والنجم والنبات الذي ينجم من الأرض لا ساق له كالبقول والشجر الذي له ساق. الكشاف (٤/٤٤٣).

العجيب أن رؤياه ـ عليه السلام ـ تدل على أنه سيكون حسابيًّا بارعًا! وهذا ما كان بالفعل، فكيف يكون ذلك؟

هناك عدة قرائن تساعدنا في تحليل هذه المسألة، منها:

١ ـ أن يوسف ـ عليه السلام ـ طلب تولي خزائن مصر، ولا شك أن من يريد أن يتسنم مثل هذا المنصب عليه أن يكون على دراية بعلوم كثيرة، وعلم الحساب أحد تلك العلوم، على الأقل معرفة لا بأس بها، لا سيما أن يوسف ـ عليه السلام ـ واجهته مشكلة اقتصادية كبيرة في مصر، والتي من بعض حلولها علم الحساب.

٢ ـ ومما لا شك فيه أن أي نبيٍّ من أنبياء الله ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ لن يطلب أمرًا إلا وهو متمكن منه، ويعلم تمامًا كيف يتعامل معه، ويلاحظ أن هذا الأمر دنيويٌّ ، وهم ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ يجعلون الأمر الدنيوي في طاعة الله[1].

---

(١) دليل على أن الأمر الدنيوي اجتهادٌ منهم ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ وليس وحيًا (عن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال: مررت مع رسول الله ـ ﷺ ـ بقوم على رؤوس النخل، فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله ـ ﷺ: «ما أظن يغني ذلك شيئًا» قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله ـ ﷺ ـ بذلك فقال: (إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله ـ عز وجل) صحيح مسلم حديث رقم [٢٣٦١]، (١٨٣٥/٤)، ويؤبرون: (يلقحونه) هو بمعنى يؤبرون في الرواية الأخرى، ومعناه إدخال شيء من طلع الذكر في طلع الأنثى فتعلق بإذن الله.

٣ . ومن جانب آخر فلن يقبل ملك من الملوك على وضع أي شخص في مكان حساس إلا إذا كان متأكدًا من خبرته وباعه الطويل، فلعل ذلك رابط بين رؤياه . عليه السلام . وبين ما كان له، وما حصل له في جزئية من حياته.

٤ . قرينة أخرى في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[١]، قال بعض المفسرين ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل كاتب حاسب[٢]، فالأمانة وحدها لا تكفي في تولي مثل هذا الأمر، ويقول الشيخ عبدالرحمن حبنّكة . يرحمه الله: عليم: أي: كثير العلم المؤهل للقيام بهذا المنصب الخطير[٣].

ولعل خبرته . عليه السلام . في علم الحساب مع خبرته في علوم الزراعة كان لها أثر في نصيحة لملك مصر عندما فسر رؤياه مع استعانته بالفراسة والذكاء، والله أعلم.

---

(١) سورة يوسف الآية (٥٥).

(٢) عند الإمام الطبري (حافظ للحساب، عليم بالألسن)، وذكر ذلك كثير من المفسرين مثل البغوي (٤٣٢/٢)، التفسير المنير (٨/١٣).

(٣) معارج التفكر ودقائق التدبر (٦٩٠/١٠).

المطلب الثاني: تأثير الزمن في تعبير الرؤيا

أن الشمس والقمر تعبران عن أصل الزمان:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1]

فهما منظومة واحدة لا يفترقان، ويعبران عن الليل والنهار، واللذان هما الزمان[2]، فالشمس للنهار الذي فيه الكد والتعب وطلب الرزق ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ ، والقمر لليل الذي جعله الله للراحة والسكون والهدوء ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ ، وهذا واضح بيّن.

لكن ما علاقة هذا بتفسير الأحلام وربطها بتعبير الرؤيا؟

يقول رسول الله ـ ﷺ: (إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن)[3]، لاحظ هنا ـ تحديدًا ـ إذا اقترب الزمان، وعلاقة آخر الزمان بصدق الرؤيا، وشراح الحديث لهم في معنى اقتراب الزمان ثلاثة أقوال:

---

(١) سورة فصلت الآية (٣٧).

(٢) بل عن الوقت كله والسنة، فالسنة تقاس بهما السنة الشمسية والسنة القمرية، إذًا فهما يُعَبَّران على الزمان ، انظر ص (١٢٨)، حاشية (١).

(٣) صحيح البخاري حديث رقم [٧٠١٧] (٣٧/٩).

أحدها: أنه قرب القيامة.

والثاني: أنه تقارب زمان الليل (القمر) والنهار (الشمس) وقت استوائهما[1]، أيام الربيع أو الخريف، وذلك وقت تعتدل فيه الأمزجة، فحينئذٍ تكون الرؤيا سليمة في الغالب من الأخلاط.

والثالث: أنه زمان التكهل؛ لأن الكهل قد بعد عنه تخايل الظنون الفاسدة، وركدت عنده نوازع الشهوات، فكانت نفسه أقبل لمشاهدة الغيب، ومن هذا الباب قوله: ((أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا))[2].

فالرؤيا تتأثر بالزمن (والذي أصله متعلق بالشمس والقمر) والوقت، كما جاء في استنباط الفوائد من الحديث الشريف السابق.

وما نقصده هنا أن اقتراب الزمان من ساعات لا بد له من قياس، وقياسه يكون عن طريق الشمس والقمر.

ورؤيا الشمس والقمر لها إشارات لعدة معاني في سورة يوسف ـ عليه السلام ـ منها ما يدل على الجانب الجمالي، ومنها ما يدل على جانب الصعاب والشقاء والحَرّ والحرق، وسوف نفصّل في ذلك ـ إن شاء الله تعالى، وإعطاء الكلمة أكثر من معنى يعتبر من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

---

(١) أن يكون وقت ساعات الليل والنهار متساويين.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/٣٣٧).

المطلب الثالث: النَّصَبُ والتعب والشقاء من الإشارات التي ترمز لمعاني الشمس

يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾[2] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾[3] وهّاجًا: يعني وقّادًا مضيئًا[4] ولا شك أن الشيء المتوقد سوف يتولد منه حرارة وحر وحرق، وبعد ذلك يتولد منه المشقة والتعب والصعاب، فالشمس حارقة حتى في النظر إليها وليس فقط بحرارتها.

وفي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾، يقول الشيخ الشعراوي ـ يرحمه الله: (ونحن نرى الشمس فيها ضياءٌ ، والقمر فيه نور، فما الفرق بين الضياء والنور؟ الضياء: فيه نور وفيه حرارة. والنور: فيه ضوء وليس فيه حرارة[5].

---

(١) سورة نوح الآية (١٦).

(٢) سورة النبأ الآية (٣١).

(٣) سورة يونس الآية (٥).

(٤) تفسير الطبري (٤/٣٠).

(٥) تفسير الشعراوي (٨/٥٠٧٠)، والشيخ العلامة ابن عثيمين ـ يرحمه الله ـ له نفس القول، شرح الأربعين النووية (٢٤٨).

المطلب الرابع: الأهوال والشدائد من الإشارات التي ترمز لها معاني الشمس

بل إن من أول علامات القيامة طلوع الشمس من مغربها بحسب بعض النصوص الصحيحة[١]، والشمس من الكواكب، وهنا تعبّر عن الأهوال والشدائد، فنستطيع أن نعبر بها عن الأهوال والشدائد.

الدليل: قوله ﷺ: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها....)[٢].

وقال ﷺ: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله تعالى يخوف بهما عباده)[٣].

وكل هذا السرد للأدلة حتى نبين أن الشمس والقمر معناهما شيء عظيم جدًّا؛ لأنهما من مخلوقات الله العظيمة.

---

(١) من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها) صحيح مسلم برقم [٢٩٤١] .

(٢) صحيح مسلم حديث رقم [٢٩٠١](٤/٢٢٢٦).

(٣) صحيح البخاري حديث رقم [١٠٤٨] (٢/٣٦).

ومن الملاحظ أن الشمس جاءت قبل القمر[1] في رؤيا يوسف . عليه السلام، فلعل في هذا إشارة إلى أن هناك أهوالًا وأمورًا صعبة سوف تأتيه، وقلنا أموراً صعبة لأن الشمس حارقة، ويأتي منها الحر والشقاء، فلعلها تأتي بمعنى الصعاب التي لاقاها يوسف . عليه السلام . في بداية حياته، وفيها كثيرٌ من المشاق، سواء النفسية أو البدنية أو الاجتماعية، وبعد ذلك سوف تسير الأمور على ما يرام، وتمهّد وتهدأ؛ لأن من إشارات معاني القمر أنه يرمز للهدوء والراحة، وخصوصًا أن تسلسل ترتيبه جاء بعد الشمس.

من تلك المواقف التي كان يمر بها يوسف . عليه السلام . وكان فيها شدة وصعوبة:

. حلم ثقيل عليه نصيحة يعقوب . عليه السلام . له. ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [2]

. بغض إخوته له والاجتماع عصبة عليه مع حبه هو لهم ﴿ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴾ [3]

---

(١) وهذا في جميع الآيات التي ذكر فيها الشمس والقمر مجتمعين.

(٢) سورة يوسف الآية (٥).

(٣) سورة يوسف الآية (٩).

. موقف امراة العزيز. ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

. سجنه. عليه السلام ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[2].

ونثني بالهدوء الذي خيّم على القصة، والراحة والعلو اللذين حصلا في قصته . عليه السلام . ووصل إليهما:

وتتضح في المواقف التالية:

أولى تلك المواقف في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴾[3] هنا بدأت حقوقه تعود له، ومنها محاسبة ومساءلة الذين كانوا السبب في حبسه . عليه السلام . وهذا يعبر عن انفراجة ليست بالهينة، وتحول كبير في حياته . عليه السلام . وهذا الموقف الأول الذي تبدأ فيه حياته للتغيير للأفضل ، في الآية رقم واحد وخمسين.

لاحظ هنا رقم الآية (واحد وخمسين)!!

---

(١) سورة يوسف الآية (٢٣).

(٢) سورة يوسف الآية (٣٥).

(٣) سورة يوسف الآية (٥١).

والملاحظ أن قصة يوسف ـ عليه السلام ـ انتهت في الآية رقم ١٠٠، في السورة الكريمة عند قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١]، فعند هذه الآية تكون القصة انتهت، فلا أحداث بعدها وكأن الأمر استقر وانتهت الآلام بهدوء وسلام.

العدد مائة هو رقم زوجي يقبل القسمة على اثنين (خمسون مضافة إلى خمسين) بل هو يعبر على نسبة كاملة النصاب!

تمامًا مثل اليوم الذي نمر به فهو ينقسم إلى قسمين قسم فيه شمس وهو النهار والذي يعبر عن المشقة، ونصفه الآخر هو الليل الذي فيه القمر فيضفي على أجواء اليوم نوعًا من الراحة والهدوء، وتتقارب من التساوي عدد ساعات النهار مع عدد ساعات الليل إذا كان الفصل ربيعًا، وهو أفضل فصل في الرؤى التي يراها الإنسان في وضوحها وصدقها[٢].

وهكذا كانت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وحتى الآية (خمسون) حياته كلها كانت صعاب ومشقة، وابتداء من الآية (واحد وخمسين) بدأت

---

(١) سورة يوسف الآية (١٠٠).

(٢) انظر ص (١٣٣) .

الأمور تتحسن وتهدأ، وتتحقق الأماني، ويستقر الحال، وظلت القصة على هذا السياق وحتى الآية رقم مائة، وهذه الآية هي نهاية القصة، وكأنه سكون الليل بعد مشقة النهار .

ومن تلك المواقف التي كان فيها رخاءٌ ليوسف ـ عليه السلام ـ موافقة الملك له أن يكون على خزائن الأرض.

وأيضًا قوله: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾[1] لاحظ اللفظ ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ وكأنه اعتذار على ما كان من قبل، فهذا موقف علو، إذ إن الملك يسأله شخصيًّا.

(١) سورة يوسف الآية (٤٦) .

المطلب الخامس: من الإشارات الأخرى لمعاني الشمس والقمر أنهما يرمزان للجمال أيضاً

وننوه إلى أن الرموز التي تدل على الجمال تكررت في رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ ولنا وقفة حول ذلك في نهاية هذا البحث[1].

دعونا نستحضر الآثار التي تصف وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتشبهه بالشمس والقمر من جماله ـ عليه السلام ـ بأبي هو وأمي، فهذا استدلالٌ واضحٌ.

وصف الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وجه رسول الله ـ ﷺ ـ بقولهم: (بل كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديرًا)[2].

ويقول ـ عليه السلام: (أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر)[3].

---

(١) انظر ص (١٦٦).

(٢) صحيح مسلم حديث رقم [٢٣٤٤]، (١٨٢٣/٤).

(٣) صحيح البخاري حديث رقم [٣٢٤٥]، (١١٨/٤).

ومن معاني الشمس منفردة (أنه يُسْتَبْشَرُ بها)؛ فقد وصف ـ عليه السلام ـ موقف الملائكة وهي تأتي للمؤمن في قبره (كأن وجوههم الشمس)[1] من نضارتها واستبشارًا بها.

وحتى في نضرة الصباح واليوم الجديد فيها استبشار وإشراق.

ومن جمالهما وإشراقهما شبهت بكثير من المبشرات ـ من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ـ فعن أبي سعيد الخدري ـ ﷺ: أن أناسًا في زمن النبي ـ ﷺ ـ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ـ ﷺ: نعم، هل تضارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟، قالوا: لا، قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟: قالوا: لا، قال النبي ـ ﷺ: ما تضارُّون في رؤية الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما)[2] هنا أيضًا استبشارٌ برؤية الله ـ تعالى وتقدس وتعظم، دون حائل أو حجاب.

---

(١) مسند الإمام أحمد، ط الرسالة (٣٠/٤٩٩)، (مقطع من حديث)، حديث رقم [١٨٥٣٤].

(٢) صحيح البخاري حديث رقم [٤٥٨١] (٦/٤٤).

المطلب السادس: الإفحام والتحدي [1] وذكر الشمس

هاكم مثالاً على هذا المعنى: تحدي إبراهيم ـ عليه السلام ـ للنمرود[2] يقول رب العزة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ

---

(١) كما جاء في حكاية إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع الطاغية النمرود عندما تحداه أن يأتي بالشمس من المغرب بدل المشرق؛ إذ قال ـ تعالى ـ حكاية عن ذلك: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (زهرة التفاسير ١/١٦٤) وسوف نفصل أكثر في الحاشية التي تليها.

(٢) وهذا الملك هو ملك بابل، واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، قاله مجاهد. وقال غيره: نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشد بن سام بن نوح. قال مجاهد وغيره: وكان أحد ملوك الدنيا. فإنه قد ملك الدنيا فيما ذكروا أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان؛ ذو القرنين وسليمان. والكافران النمرود وبختنصّر، وذكروا أن نمرودًا هذا استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغى وبغى وتجبر وعتى، وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الإمهال على إنكار الصانع، فحاجَّ إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية، فلما قال له الخليل: ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، قال قتادة، والسدي، ومحمَّد بن إسحاق: يعني أنه إذا أتي بالرجلين قد تحتم قتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما، وعفا عن الآخر، فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر، وهذا ليس بمعارضة للخليل، بل هو كلام خارجي عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة، بل هو تشغيب محض، وهو انقطاع في الحقيقة، فإن الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات؛ من إحياء الحيوانات، وموتها على وجود فاعل ذلك الذي لا بد من استنادها إلى وجوده ضرورة، وعدم قيامها بنفسها، ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة؛ من خلقها، وتسخيرها، وتسيير هذه الكواكب، والرياح، والسحاب، والمطر، وخلق هذه

ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

الحيوانات التي توجد مشاهدة، ثم إماتتها. ولهذا ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ ﴾(البقرة: ٢٥٨). فقول هذا الملك الجاهل: ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ ﴾ (البقرة: ٢٥٨). إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند، وإن عنى ما ذكره قتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق فلم يقل شيئًا يتعلق بكلام الخليل؛ إذ لم يمنع مقدمة ولا عارض الدليل، ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم، ذكر دليلاً آخر بين وجود الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود، وانقطاعه جهرة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾(البقرة: ٢٥٨). أي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها، وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، فإن كنت كما زعمت من أنك الذي تحيي وتميت، فأت بهذه الشمس من المغرب، فإن الذي يحيي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء، ولا يمانع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت، وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا، بل أنت أعجز وأقل من أن تخلق بعوضة أو تنتصر منها فبين ضلاله وجهله، وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق له كلام يجيب الخليل به، بل انقطع وسكت؛ ولهذا قال: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨) البداية والنهاية (١/١٤٨).

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٨).

وقوع معنى التحدي في قصته ـ عليه السلام ـ فكانت له تحديات كثيرة تتجلى في عدة مواقف، نكتفي بذكر موقفين:

الموقف الأول:

بعد ما هددته امرأة العزيز بأن يفعل بها ما تريد، فلم يستجب لها وتحداها واختار السجن مع أنه اختيار صعب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1].

بل وتحدى نفسه لإرغامها على البعد عن المعصية.

الموقف الثاني:

يتجلى في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾[2].

---

(١) سورة يوسف الآيتان (٣٢،٣٣).

(٢) سورة يوسف الآية (٥٠).

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ يقول صاحب مفاتيح الغيب: فعاد الشرابي[1] إلى يوسف . عليه السلام . قال: أجب الملك، فأبى يوسف . عليه السلام . أن يخرج من السجن إلا بعد أن ينكشف أمره وتزول التهمة بالكلية عنه[2].

فهذا أيضًا تحدٍّ، بل إن رسول الله . ﷺ . امتدح موقفه وكأنه . عليه السلام . تحيطه الغرابة من تصرف يوسف . عليه السلام: (لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي)[3].

وعن أبي هريرة . ﷺ . عن النبي . ﷺ . في قوله . عز وجل: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴾[4]، فقال رسول الله . صلى الله عليه وسلم: (لو كنت أنا، لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العذر)[5].

وفي ذلك يقول المصطفى . ﷺ: (لقد عجبت من يوسف، وصبره، وكرمه، والله يغفر له حين سئل عن البقرات، لو كنت مكانه لما

---

(١) ساقي الملك.

(٢) مفاتيح الغيب (١٢١/١٨).

(٣) صحيح مسلم حديث رقم [١٥١]، (١٣٣/١).

(٤) سورة يوسف الآية (٥٠).

(٥) مسند الإمام أحمد . يرحمه الله (٢٢٨/١٤) حديث رقم [٨٥٥٤]، وعلق عليه الأرناؤوط بقوله: صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل مُحَمَّد بن عمرو، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني، ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول، ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب)[1].

(١) تفسير عبدالرزاق (٢٨١/١، ٢٨٢) وقد وصله إسحاق بن راهويه في مسنده، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/١١) من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا بنحوه. وفيه إبراهيم بن يزيد وهو متروك. ابن كثير (٣٩٤/٤)، ولعل في الأثر إشارة للمعبرين!!

المطلب السابع: الشمس تشير إلى ظهور الحقائق

رؤيا الشمس تشير إلى ظهور الحقائق، فقد أذهبت ظلام الليل فأصبحت الأمور أوضح، يعني أن هناك حقائق اختفت سوف تظهر بل ستكون واضحة كوضوح الشمس ويكون ذلك بعد طمس للحقائق.

وقصة يوسف ـ عليه السلام ـ مع إخوته ومع امرأة العزيز كان فيها طمس للحقائق مما يوحي أنه لا بد من ظهور الحقيقة كوضوح الشمس، حيث أن أخاهم لم يأكله الذئب، وهم من رموه في الجب، فكانت ملابسات القصة غير واضحة عند يعقوب ـ عليه السلام ـ ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1]، ولكن فيما بعد ظهرت حقيقة الأمر وبان الكيد ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2]، ووضحت بعد ذلك كوضوح الشمس.

وموقف آخر.. الذي كان مع زوجة العزيز، كانت تحتاج تلك القضية إلى ظهور للحقائق ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا

---

(١) سورة يوسف الآية (١٨).

(٢) سورة يوسف الآية (٨٦).

﴿وَرَوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، وهناك مثال مشهور حين يريد أحدهم ضرب المثل في الوضوح وعدم الخفاء فيقول: كوضوح الشمس في رابعة النهار[2]، والمعبر يلجأ أيضًا أحيانًا للأمثال وأبيات الشعر العربية لتعبير الرؤيا وهذه مناسبة ذكر المثال هنا.

(١) سورة يوسف الآية (٥١).

(٢) انظر معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار (٢٤٥٥/٣) ويقال: واضحةٌ وضوح الشمس، ولها صيغ أخرى، والكثير استعمل هذا المثال في مؤلفاته؛ لأن الشمس تدل على وضوح الشيء جيدًا، والشاهد أنه يستدل بها على أن المسألة أصبحت واضحة كما أن الشمس واضحة الرؤية.

المطلب الثامن: رمز السجود وعظمة شأن يوسف ـ عليه السلام ـ وفيه فائدتان

في قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[1].

السجود لغةً: التطامن والخضوع والتذلل، يقال: سجد البعير إذا خفض رأسه عند ركوبه، وسجد الرجل إذا وضع جبهته على الأرض.

والسجود في الاصطلاح: وضع الجبهة أو بعضها على الأرض، أو ما اتصل بها من ثابت مستقر على هيئةٍ مخصوصةٍ في الصلاة[2].

ولنا في هذا المبحث وقفات:

الوقفة الأولى: آيتان ذكر فيهما موقف السجود في سورة يوسف ـ عليه السلام:

الآية الأولى: في رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ في قوله ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[3].

الآية الثانية: تحقق الرؤيا﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[4]

---

(١) سورة يوسف الآية (٤).

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٢٦/٢٣).

(٣) والرؤيا منامية فيجوز فيها ما لا يجوز في اليقظة.

(٤) سورة يوسف الآية (١٠٠).

في قوله تعالى: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ما هو معنى السجود هنا؟ وكيف كان؟

أعدل الأقوال أن يوسف ـ عليه السلام ـ رآهم يسجدون له كما يسجد البشر لربهم، وما دام أن الرؤيا جاء تحققها في نهاية السورة بسجود إخوته له ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾[1]، فلعل لهذا دلالة أنه رأى الكواكب والشمس والقمر على هذه الهيئة في منامه.

الوقفة الثانية: نقف مع رمز السجود من وجهين:

أولاً: إخوة يوسف وأبوه وأمه سجدوا ليوسف ـ عليه السلام: إذًا هم سيكونون خاضعين له.

ثانيًا: أن يوسف ـ عليه السلام ـ سُجد له في الرؤيا إذاً ... هو سوف يكون عظيمًا وذا شأن.

والسجود[2] كان للعظماء والملوك والوجهاء في زمنهم لتعظيمهم .

---

(١) السابق.

(٢) وأوضح دليل هو حديث معاذ . ﷺ (عن عبدالله بن أبي أوفى، قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي . ﷺ، قال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه) سنن ابن ماجة حديث رقم [١٨٥٣].

وليس لعبادتهم والشرك بهم مع الله[1].

سجود الكواكب ليوسف ـ عليه السلام ـ يعني أن شأن يوسف سوف يكون أعظم من إخوته (هذا في العلاقة بينه وبين إخوته فقط، والأمور الأعظم فصلناها في باقي الكتاب)، وهذه الكواكب سجدت ليوسف في منامه فهذا معناه أن عبادًا سوف يخضعون له وسيكونون تحت إمرته، مما يدل على أنه سيكون أعظم منهم، والسجود هنا ليس للعبادة، ولكن للمنصب الأعلى منهم مرتبة، فكان نبيًّا ـ وهذا الأعلى على جميع المراتب[2]، وكان ملكًا ومفسرًا للرؤى[3].

(١) فقد كان هذا لا يحرم في عقيدتهم، وهو محرم في الإسلام، ولا يكون إلا لله ـ عز وجل، وكان عندهم مباحًا، وهو بمعنى التحية والتوقير، وليس للعبادة عند الموحدين، والكثيرون بحثوا هذه المسألة بإسهاب فليُرجع لها في مراجعها.

(٢) قد كان هذا مشروعًا في الأمم الماضية، ولكنه نسخ في ملتنا، (تفسير ابن كثير ٢٣٢/١).

(٣) وكيف جمع تعبير الرؤى مع هذه الصفات، وكأنها إشارة أنها من الأهمية بمكان.

الفصل الثالث

كيف نتعلم تفسير الأحلام من خلال رؤيا يوسف عليه السلام ؟

وفيه مباحث :

المبحث الأول: يا بني لا تقصص رؤياك!!

المبحث الثاني: (قواعد يسيرة في تفسير الأحلام وفوائده)

المبحث الأول

يا بني لا تقصص رؤياك!!

وبعد أن انتهينا من الوقوف على رموز رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ نعرج على نصيحةٍ مهمّةٍ قالها يعقوب ـ عليه السلام ـ لابنه، وتتمثل في قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ ﴾[1]، كانت تلك النصيحة في غاية الرحمة والشفقة والحكمة من يعقوب ـ عليه السلام ـ مخافة وقوع الضرر على يوسف ـ عليه السلام ـ أو الحسد الذي سوف يأتي بما بعده من حقدٍ عليه وأذية له[2]، مع العلم أيضا أن بداية هذه الآية دليل قاطع على جواز قص الرؤيا على من يحسن التعبير وتتوفر فيه شروط المعبر المحسن.

وفي الحقيقة هذه النصيحة ليست خاصة ليوسف ـ عليه السلام ـ فقط، بل هي نصيحة لكل من كان عنده رؤيا ويريد أن يتحدث عنها.

وإذا علمنا أن التحذير من الحسد في هذا الجانب جاء مع أول آية رؤيا في القرآن الكريم، وأنه كان أول ما أجاب عنه يعقوب ـ عليه السلام ـ فنصح وحذر.

وكل أمر يأتي في البداية له أهمية تفوق ما سواه، بل إنه – عليه السلام– لم يعبر الرؤيا ولكن نصح وحذر، ومن هذا الموقف يتضح لنا أهمية هذه النصيحة النبوية، وألا نقص الرؤيا على أي أحد، وبالأخص من كان فيه داء الحسد، حتى وإن كان بارعًا في باب التعبير.

---

(١) سورة يوسف الآية (٥).

(٢) انظر زاد المسير (٤/١٨٠).

ولو بحثنا في الأحاديث النبوية الشريفة لوجدنا أن رسول الله ـ ﷺ ـ حذرنا كثيرًا من قص الرؤيا على أي أحد.

وميراثنا النبوي اهتم بهذا الجانب والتنبيه عليه:

فقال ـ عليه السلام ـ في الحديث الشريف: (لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح)[1].

وفي حديث آخر: (ولا يَقُصُّهَا إلا عَلَى وَادٍّ أَوْ ذِي رَأْيٍ)[2].

وقال ـ عليه السلام ـ أيضًا: (فلا تحدث بها إلا عالمًا، أو ناصحًا، أو حبيبًا)[3].

وقال : (وَلا يُحَدِّثُ بِهَا إلا لَبِيبًا أَوْ حَبِيبًا)[4].

فالرؤيا الحسنة يحسد عليها المرء؛ لأنها لا تكون لأي أحد، ولا تأتي لأي إنسان، فهي من الله يرسلها لمن يشاء من عباده، يقول رسول الله ـ ﷺ: (إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله...)[1]، فدل الحديث على أنها من الله، وكأنها هبة وهدية لعباده، فعلى المرء أن يحافظ

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح حديث رقم [٢٢٨٠].

(٢) أبو داود حديث رقم ٥٠٢٠، صححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في صحيح الجامع حديث رقم ٣٥٣٥.

(٣) صحيح ابن حبان برقم [٦٠٥٥].

(٤) رواه الترمذي حديث رقم [٢٢٧٨].

(١) صحيح البخاري برقم [٦٩٨٥] (٩/٣٠).

عليها وكأنها سر من أسراره، لا يخرجه إلا لأمين، فموضوع قص الرؤيا والتعامل معها موضوع في غاية الحساسية، والكثير يتهاون في أمر قص الرؤيا فيقصها على جاهل أو حاسد، وهذا خطأ كبير.

بل وحتى من يفسرون الرؤى يُحْسَدُون على ذلك؛ لأنهم أُعطوا ما لم يأخذه غيرهم، فالرؤيا وتفسيرها محاطة بالحسد فليتنبه لذلك.

المبحث الثاني

(قواعد يسيرة في تفسير الأحلام وفوائده)

كيف نتعلم تفسير الأحلام من خلال رؤيا يوسف عليه السلام

في هذا المبحث سنتعرف على بعض طرق وقواعد التعبير اليسيرة[1]، والمستنبطة من رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ منها ما يفيد المعبّر في تحليل الرؤيا، ومنها قواعد عامة يستفيد منها الرائي والعامة.

أولاً: الرؤيا عالم غيبي والإيمان بها من صلب العقيدة[2]:

إن الأحلام والرؤى هي من باب الغيبيات التي لا يكاد يستوعبها عقل؛ لأنها من عالم لا نراه ولكن نؤمن به، سواء من الرؤيا أو في تعبيرها، (وخصوصًا تلك التي هي من النوع المرموز[3] الغير واضحة المعالم)، فلا يوجد في الواقع أن الكواكب تسجد لأحد، لكن هذا مقبول في الرؤى والأحلام؛ لأن لها معنىً خاصًّا وبعيدًا، وتسلسل الآيات كان في سياق ذكر الغيبيات[4].

ثانياً: تذكير الرائي بعد سماع الرؤيا أن مافيها من فضل فهو من الله، فليحمد الله عليها، ولا يظن أن الرؤيا مقدسة لذاتها، ولكن لأنها من الله ـ جل وعلا ـ ولا ينسى المعبر ذلك لما فيه من أثر في تربية المرء على التوكل على الله والإيمان به، يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ

---

(١) تعلُّم تعبير الرؤى قال به كثير من العلماء منهم الإمام ابن سعدي ـ يرحمه الله ـ يقول: (إن علم التعبير من العلوم الشرعية، وإنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه) تفسيره (٤٠٧/٠١).

(٢) انظر ص (٣٩).

(٣) انظر ص (٥٣)، حاشية (٢).

(٤) انظر ص (٣٩).

رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾﴾[1] فيعقوب . عليه السلام . ذكّر يوسف . عليه السلام . بأن الاجتباء الذي سوف يكون له من الله، كما هو واضح في الآية، علماً أنه لم يحدد ما هو هذا الاجتباء !!.

ثالثاً: من علامات الرؤيا الصحيحة ترابط رموزها ومعانيها ترابطاً واضحاً جلياً، وهذا أول ما على المعبّر أن ينظر إليه.

رابعاً: على المعبّر أيضاً الاجتهاد في تحليل تلك الروابط، والنظر في كيفية الجمع بين رموز الرؤيا في نقطة تقابل واحدة أو بقدر ما يستطيع؛ لأن ذلك يساعد كثيرًا في تفسير الرؤيا، بل ويظهر الأمر الأهم والمفترض أن يسلط عليه الضوء في التعبير.

وهذا مثالٌ حيٌّ ندرسه، وهو رؤيا يوسف . عليه السلام . فكل رموز رؤياه موجودة في السماء؛ الكواكب، والشمس، والقمر، كلها أجرامٌ سماوية، فهذا دليل على أنها مترابطة، إلا رمزًا واحدًا وهو السجود الذي يختلف عن باقي الرموز، على الرغم أنه يتقابل معها في المعنى والمغزى، كما سنوضح ذلك في ملحق النماذج آخر الكتاب.

---

(١) سورة يوسف الآية (٦).

خامساً: إذا رأى المرء في أحلامه شيئاً غريباً وغير مرتب، ورموزه غير مترابطة مع بعضها البعض، فهذه لا تكون رؤيا صحيحة، بل تكون أقرب لأضغاث الأحلام وحديث النفس.

سادساً: تكرار المعنى له دلالة خاصة:

هناك معانٍ تتكرر في الرؤى، لعلها تتكرر في رؤيا واحدة أو أكثر من رؤيا.

وفي القرآن الكريم يمكن أن يكون المعنى واحدًا لعدة كلمات[1]، وإن أردتَّ فقل مجموعة من الكلمات تدل على معنىً واحدٍ ، ولعلنا نستفيد من ذلك في باب التعبير.

بمعنى أن يكون رمزان مختلفان لهما نفس المدلول ولهما معنىً واحدٌ ، وهذا له دلالة على أمرين:

أولاً: تأكيدٌ لأمرٍ ما!!

ثانيًا: له دلالةٌ على زيادةٍ في هذا الأمر كزيادةٍ في المال أو في الجمال.... إلخ.

---

(١) الكواكب والنجوم والبروج والمصابيح كلها ترمز لمعنى الكوكب الذي هو النجم، والبروج تأتي بمعنى الحصون أيضًا قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ (النساء: ٧٨)، (تهذيب اللغة١١/٤٠).

نذكر مثالاً توضيحيًّا، ولنبدأ بثاني[1]رموز رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ وهي (الكواكب):

دلت على العظمة[2]، ودلت على الجمال[3]، ودلت على الدراية بأمور الزراعة[4]، ودلت على الهمة العالية[5].

وكذلك رمز الشمس، كان له أكثر من معنى، وكثير من المعاني كان لها وقفات في حياة يوسف ـ عليه السلام.

فدلت على الشدة[6]، والأهوال[7]، والجمال[8]، والبشارة[9]، والتحدي[10]، والتخويف[11]، وفي موضع آخر على العظمة[12].

ألم ترَ أن يوسف ـ عليه السلام ـ كان رسولاً وكان ملكًا، فكان له قمة العظمة، وتكرار المعنى في رموز الرؤيا يدل على ذلك، وكما ذكرنا

---

(١) الرمز الأول هو: أحد عشر.
(٢) انظر ص (٩٦).
(٣) انظر ص (١١٧).
(٤) انظر ص (١٠٩).
(٥) انظر ص (١٠١).
(٦) انظر ص (١٣٥).
(٧) انظر ص (١٣٥).
(٨) انظر ص (١١٧).
(٩) انظر ص (١٦٨).
(١٠) انظر ص (١٤٢).
(١١) السابق.
(١٢) انظر ص (٩٦).

سابقًا أن معنى العظمة هو المعنى الركيز في رؤيا يوسف . عليه السلام . والذي تدور حوله معاني باقي الرموز.

إذًا في رؤيا يوسف . عليه السلام . هناك تأكيدٌ لأمورٍ عدة، وثانيًا الدلالة على زيادةٍ في هذه الأمور، فكان جميلاً وكان جماله زائدًا، وكان له أكثر من منصب، وكانت تلك المناصب عظيمة.

سابعاً: الرؤيا فيها البشارة وفيها التحذير:

وبالوقوف على رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ نجد أنه جاء فيها التحذير وذلك بالوقوف على رمز أحد عشر[1]، ونجد فيه الحدث المستقبلي الذي يدل على البشائر أيضاً وذلك من عدة أوجه:

١ ـ أن أغلب ما رآه يوسف ـ عليه السلام ـ أجرام سماوية وهذا يستبشر به.

٢ ـ سجود أعظم الكواكب على وجه المنظومة الكونية له (الشمس والقمر).

وفي الرؤى يأتي التحذير والتبشير، وهنا جاءا في رؤيا واحدة.

ثامناً: ننوه على فائدة التجاهل في الرؤيا، فلعل يوسف ـ عليه السلام ـ لم يكن له أخت:

بل كانوا كلهم ذكورًا، إذ لم يذكر في الرؤيا التي رآها ما يدل على رموز تدل على الأخوات الإناث، وهذا يؤخذ منه أحيانًا بعض الأمور، فإما أن هذا عنصر غير موجود في حياته، لا سيما أنه جاء في رؤيا تجمع جميع أفراد العائلة، فجاء فيها، إخوته، والأم، والأب، فلعل

---

(١) انظر ص (٨٧).

عدم وجود أخوات له ـ عليه السلام ـ من الأصل سبب من أسباب عدم ذكر أخوات إناث في الرؤيا.

وإما أن أمرًا حدث كأنها ليست معهم في الدنيا، أو أنها ماتت، أو فقدت، والله أعلم.

وهناك تلميح وقرينة، وهي أن الذي لم يكن في الرؤيا فهو ليس معهم في الواقع.

ولم يذكر في السورة الكريمة شيءٌ يدل على أن له أختًا، ولو حتى آية واحدة، لا سيما أيضًا أن الكواكب ترمز للذكور فقط.

وأيضًا غير ذلك، أن كلمة إخوتك التي في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[1]، تدل على الذكور دون الإناث، ومع كل هذه القرائن نكاد نقترب من أن يوسف ـ عليه السلام ـ لم يكن له أخوات إناث.

ومن هنا نستدل أن رواية التوراة كلها تحريف وتلفيق وكذب من أصلها (حتى وإن كانت نظرية التجاهل في الرؤيا غير صحيحة)، وما جاء

---

(١) سورة يوسف الآية (٥).

في التوراة من قصة أختهم كان ركيكًا بل فاضحًا[1] عياذًا بالله، ومن الواجب أن لا يصدق ما كتب في التوراة، فهي بنت نبي . هذا إن كان له بنت . وكان ذلك صحيحًا. وأيضًا ثقتنا وتصديقنا لما في القرآن هو الأساس[2].

(١) الكتاب المقدس ص (٤١.٤٠): في الباب الرابع والثلاثين من سفر التكوين هكذا ذكر: ١ (وخرجت دينا ابنة ليا لتنظر إلى بنات ذلك البلد) ٢ (فنظرها شخيم بن حمور الحاوي، رئيس الأرض فأحبها فأخذها وضاجعها وذلها) ٣ (وتعلقت نفسه بها، وأحبها وكلمها بما وافقها، ووقع بقلبها) ٤ (فقال شخيم لحمور أبيه خذ هذه الجارية لي زوجة) ٨ (فكلمهم حمور... إلخ) ١٣ (فأجاب بنو يعقوب... إلخ) ١٤ (لا نستطيع نصنع ما تطلبان، ولا أن نعطي أختنا لرجل أغلف فإن ذلك عار علينا) ١٥ (بهذا نشبهكم إذا ما صرتم مثلنا لكي تختنوا كل ذكوركم) ٢٤ (فارتضى جميعهم واختتن كل من كان منهم ذكرًا) ٢٥ (فلما كان اليوم الثالث وقد بلغ منهم الوجع جدًّا، أخذ ابنا يعقوب شمعون ولاوى أخوا دينا، كل واحد منهما سيفه، ودخلا المدينة على طمأنينة، وقتلا كل ذكر) ٢٦ (وحمور، وشخيم ابنه، وأخذا دينا أختهما من بيت شخيم) ٢٧ (وخرجا ودخل بنو يعقوب على القتلى، ونهبوا المدينة التي فضحت فيها دينا أختهم) ٢٨ (وأخذوا غنمهم، وبقرهم، وحميرهم، وكل ما في البيوت، وكل ما في الحقل وسبوا صبيانهم، ونساءهم).

(٢) قال رسول الله . ﷺ: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقًّالم تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم)، مسند الإمام أحمد برقم [١٧٢٢٥] وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط (٢٨/٤٦٠).

تاسعاً: الصلاح والتقوى له أثرٌ كبيرٌ في الرؤيا:

فانظر كيف كانت رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ ذات سمو وعلو، فهو كما قال رسول الله ـ ﷺ: (الكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ـ عليهم السلام)[1]. وكثرة الرؤى الطيبة الصالحة، تدل على معدن الإنسان الطيب، وتوحي بصلاحه وتقواه[2].

عاشراً: وفي الجانب الآخر إذا كثرت أضغاث الأحلام وحديث النفس عند الرائي فهذا تنبيه بأن عليه أن يقترب من الله أكثر وأن يصفي نفسه ويربيها.

الحادي عشر: التعبير بإجمالي معنى رموز الرؤيا:

مثالٌ على ذلك: نجد أن من سمات الكواكب أنها تفترق، وتتقارب، وتتقابل، ولعل هذا ما حصل مع يوسف ـ عليه السلام ـ فقد افترق عن إخوته وتقابل معهم مرة أخرى.

الثاني عشر: إن ظهر شيء غير جيد في الرؤيا فلا يفسَّر، وعدم تفسير المنامات بدرجة تقلق الرائي، وقد فصلنا هذا في بداية المؤلَّف[3].

---

(١) صحيح البخاري حديث رقم [٣٣٩٠](١٥١/٤).

(٢) انظر الحاشية ص (٢٠).

(٣) السابق.

الثالث عشر: الاهتمام برؤى أهل المناصب وخصوصاً الدينية:

لأن ذلك له أثر في الرؤيا، وكان بعض العلماء والمعبرين أكثر ما يسمعون الرؤى من أهل المناصب والوجاهة، والناظر لرؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ يجد أنها رؤيا لابن نبي، وهذا منصب رفيع جدًّا، ويزداد هذا المنصب أهمية إذا علمنا أنه كان صالحًا وتقيًّا، بل أصبح نبيًّا بعد ذلك.

الرابع عشر: الاهتمام بأمر الرؤيا وإن جاءت لمرة واحدة فقط:

في قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ ﴾[1] ، في رؤيا ملك مصر معناها التكرار في الرؤيا رآها أكثر من مرة، ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في رؤيا يوسف بمعنى رأيتها مرة واحدة فقط[2]، ومع ذلك كان الاهتمام بها.

الخامس عشر: على الرائي أن يقص الرؤيا بنفسه:

وهو الأفضل فيوسف ـ عليه السلام ـ هو بنفسه من قص الرؤيا على يعقوب ـ عليه السلام ـ لأنه لعله يُحسَد عليها، ولعل الرؤيا مع النقل تفقد كثيرًا من رموزها مما يؤثر على تعبيرها، وهذا ما يحصل في الغالب من واقع التجربة، وغيرها من الأمور.

---

(١) الفعل أرى فعل مضارع ومعناه التكرار بمعنى أن الرؤيا تكررت أكثر من مرة، وجاء هذا الفعل في رؤيا إبراهيم ـ عليه السلام ـ أيضا، قال مقاتل ـ يرحمه الله: رأى ذلك إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثلاث ليال متتابعات (تفسير القرطبي ١٨/٦٥).

(٢) وعلى ذلك رأيت ـ (رأى) و(ت) للفاعل ولها تفاصيلها عند اللغويين ـ تدل على الماضي ولا تدل على التكرار والله أعلم.

السادس عشر: التركيز على الأعداد والأرقام في الرؤيا وعدم إهمالها.

بدأت رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ برقم، أو رقم مركب وهو ﴿ أَحَدَ عَشَرَ ﴾، وهذا يوحي أن الأرقام في الرؤى من الأهمية بمكان، فعلى المعبر أن يتنبه لها، وأن يتفرس في معناها، فلعلها تدل على وقوع أمرٍ مهمٍ في وقتٍ معين تحدده تلك الأرقام إن تعامل معها المعبر بتفرسٍ وتركيز، وذكر في القرآن الكريم ثلاثة رؤى اهتمت بالعدد، سواء بذكر رقم في نفس الرؤيا كرؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ ورؤيا ملك مصر، أو بذكر ما يستدل بها على الكثرة والقلة في العدد، كرؤيا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [1].

فالوقوف على العدد يستفيد منه الرائي والمعبّر فليتنبه لذلك.

---

(١) سورة الأنفال الآيات (٤٣)، يعلق الإمام ابن عاشور ـ يرحمه الله ـ على هذه الآية: (وكانت قلة العدد في الرؤيا رمزًا وكناية عن وهن أمر المشركين، لا عن قلة عددهم) (٢٢/١٠)، ولعلها ترمز لذلك في الرؤى الأخرى والله أعلم.

السابع عشر: أحيانا ترمز الرؤيا على أحداث يعيشها الفرد أو المجتمع ويحتاج لحلول لها فيظهر ذلك في الرؤيا :

فهي بمثابة طريق للخلاص من المعضلات وحل المشكلات.

والمستقرأ للرؤى التي ذكرت في سورة يوسف سيظهر له بوضوح أنها خاصة بموضوع الطعام، ويبدو أن أهل تلك الحقبة كانوا يعانون من قلة في الغذاء ومشاكل في الحصول عليه.

في قوله تعالى:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

لا حظ هنا ﴿ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ ﴾ و ﴿ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ ﴾، الخمر شراب، الخبز طعام.

وفي قوله تعالى:﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[2].

---

(١) سورة يوسف الآية (٣٦).

(٢) سورة يوسف الآية (٤١).

وتفسيره عليه السلام للرؤيا الملك : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾[1] .

غير أن يوسف عليه السلام لما كان يدعو السجنين ركز على أمر فيه الطعام ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[2] .

وجاء في التوراة : "ولم يكن خبزٌ في كل الأرض، لأن الجوع كان شديداً جداً فخورت أرض مصر وأرض كنعان من أجل الجوع"[3].

ولم أجعل هذا المؤلف خاصًّا لاستخراج القواعد بقدر الوقوف على أسرار وخفايا رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ ولعل المُؤَلَّف القادم ـ بإذن الله ـ يكون متخصصًا في استنباط القواعد في تفسير الأحلام من رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ وباقي الرؤى في القرآن الكريم.

---

(١) سورة يوسف الآية (٤٧) .

(٢) سورة يوسف الآية (٣٧) .

(٣) سفر التكوين الإصحاح ٤٧– ١٣.

الخاتمـــــة

نحمدك يا ربنا حمد الشاكرين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، يليق بجلال وجهك الكريم وعظيم سلطانك، على أن أتممت علينا كثيرًا من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ومن هذه النعم هذا البحث المتواضع، والذي يهتم بدراسة تجمع بين جنبيها أشرف العلوم على الإطلاق (علوم القرآن الكريم)، وهي دراسة لبعض الوقفات مع رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ التي ذكرت في القرآن الكريم.

ولا تعْدُو هذه الدراسة عن كونها تأملات، لعلنا أصبنا ولعلنا أخطأنا في طرحها والصواب من الله والخطأ مني ومن الشيطان... وفي كلا الأمرين المجتهد مأجور.

ولا أخفي عليكم، كثيرًا ما ترددت في إكمال هذا المؤلَّف لعلمي أني أتيت بغرائب لم تذكر في مصنف آخر، ولم يتطرق إليها كثيرٌ من أهل العلم، لا سيما أن العلم يحتاج إلى تقوى أكثر من السرد والبيان، فنسأل الله تقواه، ونسأله أن يجبر نقصنا والخلل، وكانت سلواي أني أتيت بأدلة من الوحيين، وأقوال مَن كانوا ثقات عند أهل العلم.

وكما ذكرنا في المقدمة فإن كتاب الله (لا يكاد لسان بليغ أن يصف ما فيه من الروعة والجمال، ولا قلم حاذق من كتابة ما فيه من الفوائد والنكت)[1] .

وأحسب أنني قدمت للقارئ الكريم مادة علمية نادرة وجديدة تحاكي التدبر في كتاب الله ممزوجة بفوائد لعلم تعبير الرؤى.

---

(١) انظر ص (٢٥).

وكنت كلما انتهيت من فائدة جاءت أختها، فوجدت نفسي لن أنتهي من الكتاب بهذه الطريقة، فاستعنت بالله واكتفيت بما قيَّدتُ، وما زال هناك الكثير لم يُذكَر، وقد آثرتُ تأخير بعض الفوائد لطبعات ومصنفات قادمة بإذن المولى ـ عز وجل.

ومن المؤكد أن القراء لن يجتمعوا على رأيٍ واحدٍ، فقسم يعترض، وآخر له شغف، ولكن حسبي أني قدمت مادة جديدة خارجة عن إطار التقليد، وسقفها الاجتهاد وجمع ما ندر، ونسأل الله التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.

النمـــاذج

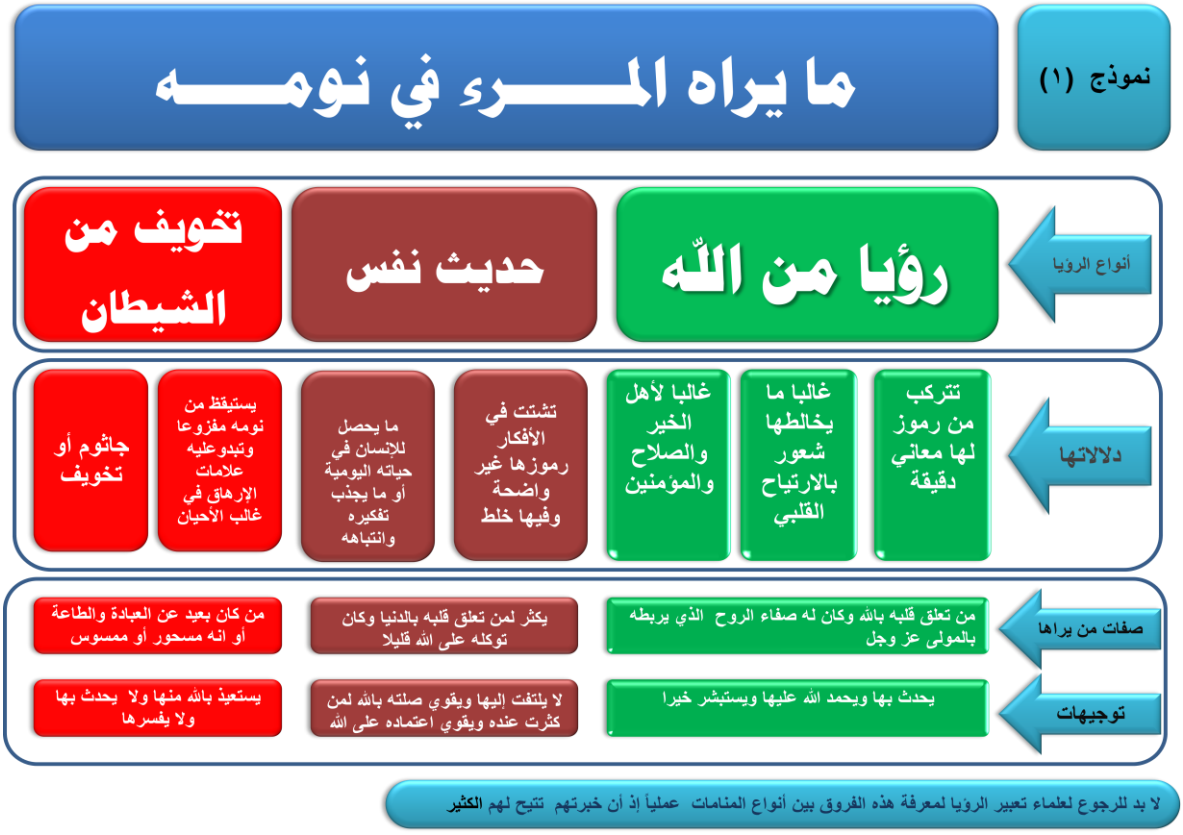
نموذج (١)
ما يراه المـــــرء في نومـــه
أنواع الرؤيا
رؤيا من اللّه
حديث نفس
تخويف من الشيطان
دلالاتها
تتركب من رموز لها معاني دقيقة
غالبا ما يخالطها شعور بالارتياح القلبي
غالبا لأهل الخير والصلاح والمؤمنين
تشتت في الأفكار رموزها غير واضحة وفيها خلط
ما يحصل للإنسان في حياته اليومية أو ما يجذب تفكيره وانتباهه
يستيقظ من نومه مفزوعا وتبدو عليه علامات الارهاق في غالب الأحيان
جاثوم أو تخويف
صفات من يراها
من تعلق قلبه بالله وكان له صفاء الروح الذي يربطه بالمولى عز وجل
يكثر لمن تعلق قلبه بالدنيا وكان توكله على الله قليلا
من كان بعيد عن العبادة والطاعة أو انه مسحور أو ممسوس
توجيهات
يحدث بها ويحمد الله عليها ويستبشر خيرا
لا يلتفت إليها ويقوي صلته بالله لمن كثرت عنده ويقوي اعتماده على الله
يستعيذ بالله منها ولا يحدث بها ولا يفسرها
لا بد للرجوع لعلماء تعبير الرؤيا لمعرفة هذه الفروق بين أنواع المنامات عملياً إذ أن خبرتهم تتيح لهم الكثير

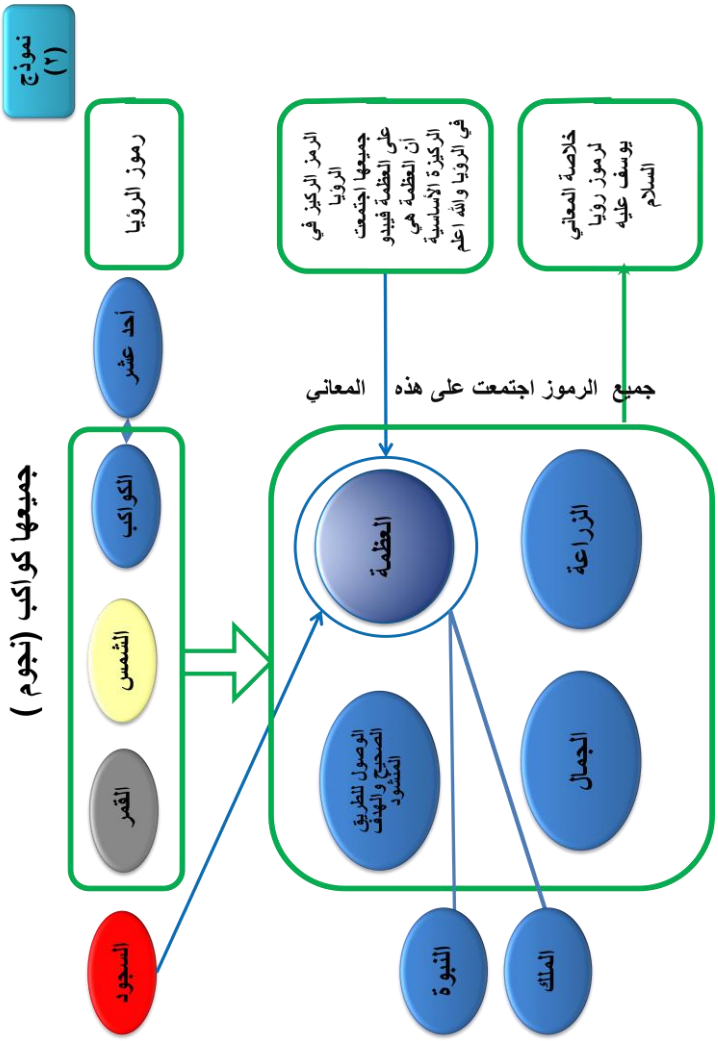
نموذج (٢)
رموز الرؤيا
الرمز الركيز في الرؤيا جميعها اجتمعت على العظمة فيبدو أن العظمة هي الركيزة الأساسية في الرؤيا والله اعلم
خلاصة المعاني لرموز رؤيا يوسف عليه السلام
أحد عشر
جميع الرموز اجتمعت على هذه المعاني
جميعها كواكب (نجوم)
الكواكب
الشمس
القمر
السجود
العظمة
الوصول للطريق الصحيح والهدف المنشود
الزراعة
الجمال
النبوة
الملك

نموذج (٣)

أسباب المنامات ومراحل تعبيرها

ثبت المصادر والمراجع

١. أبجد العلوم، لأبي الطيب مُحَمَّد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٢. أسرار ترتيب القرآن، للإمام عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ العلامة مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام أبو عبدالله شمس الدين مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٥. الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار الفكر.

٦. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق سعود بن عبدالعزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧. البداية والنهاية، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت.

٨. البرهان في علوم القرآن، للإمام مُحَمَّد بن بهادر بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله، دار المعرفة.

٩. التبيان في أقسام القرآن للإمام ابن القيم، تصحيح طه يوسف شاهين.

١٠. التحرير والتنوير، للعلامة مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

١١. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

١٣. التفسير الوسيط، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٤. الجامع الكبير، سنن الترمذي، للإمام مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة ١٩٩٨م.

١٥. الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، للإمام أبي عبدالله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

١٦. الديباج على مسلم، للإمام عبدالرحمن بن أبي بكر أبي الفضل السيوطي، تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ. ١٩٩٦م.

١٧. الرؤى والأحلام في السنة النبوية، لعبدالله مُحَمَّد أمين يونس العمري، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٨. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، للدكتور صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م.
١٩. القول المفيد على كتاب التوحيد، للعلامة الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية.
٢٠. الكتاب المقدس دار الكتاب المصري، مصر، الإصدار السادس الطبعة الأولى.
٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٢. المحلى في شرح المحلى بالحجج والآثار، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، بيت الأفكار الدولية.
٢٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، طباعة ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٢٤. النكت على كتاب ابن الصلاح، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق ربيع بن هادي عمير المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
٢٥. تاريخ ابن خلدون . ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبدالرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
٢٦. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام الحافظ أبي العلي محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، ضبطه وراجع أصوله وصححه، عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر
٢٧. تفسير البحر المحيط، للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق، د. زكريا عبدالمجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٢٨. تفسير الجلالين، للإمامين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.
٢٩. تفسير الشعراوي . الخواطر، للشيخ محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
٣٠. تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
٣١. تفسير القرآن، تفسير السمعاني، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.
٣٢. تفسير جزء عم، للعلامة الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣م.
٣٣. تهذيب اللغة، المؤلف محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق محمد عوض مرعب،

دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٣٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م.

٣٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر.

٣٦. جامع بيان العلم وفضله، للإمام أبي عمر يوسف بن عبدالله بن مُحَمَّد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ. ١٩٩٤م.

٣٧. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، للدكتور عبدالعظيم إبراهيم مُحَمَّد المطعني، مكتبة وهبة الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ. ١٩٩٢م.

٣٨. خطبة الحاجة التي كان رسول الله ـ ﷺ ـ يعلّمها أصحابه، للعلامة الشيخ أبي عبدالرحمن مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

٣٩. زاد المسير في علم التفسير، للإمام عبدالرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٤٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للعلامة الشيخ أبي عبدالرحمن مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف.

٤١. سنن ابن ماجه، للإمام ابن ماجة أبي عبدالله مُحَمَّد بن يزيد القزويني، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.

٤٢. سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، دمشق ١٤٣٠هـ.

٤٣. سورة يوسف دراسة تحليلية، للدكتور أحمد نوفل، الفرقان، عمان، الأردن ١٤٠٩هـ.

٤٤. شرح الأربعين النووية، للعلامة الشيخ مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد عثيمين، دار الثريا، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ.

٤٥. شرح ديوان المتنبي، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي محب الدين، تحقيق: مصطفى السقا/ إبراهيم الأبياري/ عبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة،بيروت.

٤٦. شرح صحيح البخارى لابن بطال، للإمام ابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبدالملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.

٤٧. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق الدكتور حسين بن عبدالله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف مُحَمَّد عبدالله، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

٤٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام مُحَمَّد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبي حاتم، الدارمي، البُستي تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة

الثانية، ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م.
٤٩. صحيح البخاري، للإمام مُحَمَّد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٥٠. صحيح الجامع الصغير وزياداته، للعلامة الشيخ أبو عبدالرحمن مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
٥١. صحيح مسلم بن الحجاج، أبي الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي . بيروت.
٥٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
٥٤. فضل علم السلف على علم الخلف، للإمام أبي فرج زين الدين عبدالرحمن (ابن رجب البغدادي الحنبلي)، مطبعة النهضة.
٥٥. فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ.
٥٦. في الأدب الحديث، لعمر الدسوقي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.
٥٧. في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشر ١٤١٢هـ
٥٨. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله . عز وجل، تأليف العلامة عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م.
٥٩. كشف المشكل من حديث الصحيحين، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، تحقيق علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
٦٠. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.
٦١. مباحث في علوم القرآن، تأليف الشيخ مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.
٦٢. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للإمام عبدالعزيز بن باز، جمع مُحَمَّد الشويعر، دار القاسم للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٦٣. مسند الإمام أحمد، أبي عبدالله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون إشراف الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ. ٢٠٠١م.
٦٤. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) للإمام أبي مُحَمَّد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبدالصمد الدارمي التميمي السمرقندي، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المغني،

الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٦٥. مشكاة المصابيح، للإمام مُحَمَّد بن عبدالله الخطيب العمري أبي عبدالله ولي الدين التبريزي، للعلامة الشيخ أبي عبدالرحمن مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٦٦. معارج التفكر ودقائق التدبر، للعلامة عبدالرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م.

٦٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، للإمام أبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه مُحَمَّد عبدالله النمر، تحقيق خالد عبدالرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

٦٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور: أحمد مختار عبدالحميد عمر، بمساعدة فريق عمل عالم الكتب الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٨م.

٦٩. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، للدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

٧٠. مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، للعلامة الشيخ مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين، إعداد وتقديم الأستاذ الدكتور عبدالله بن مُحَمَّد بن أحمد الطيار، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ. ١٩٩٥م.

٧١. مناهل العرفان في علوم القرآن للإمام مُحَمَّد عبدالعظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

٧٢. موطأ الإمام مالك، للإمام مالك بن أنس أبي عبدالله الأصبحي، تحقيق وتعليق الدكتور بشار عواد معروف، محمود مُحَمَّد خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

٧٣. يوسف في القرآن الكريم والتوراة، للدكتورة زاهية الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

فهرس الكتاب

البسملة	
إهداء	٧
البداية	٩
المقدمة	١١
التمهيد	٢٣
الفصل الأول: مكانة رؤيا يوسف عليه السلام وفيه ستة مباحث	
المبحث الأول: أهم ضوابط تعبير الرؤى	٣٣
المبحث الثاني: الرابط بين رؤيا يوسف عليه السلام وأنها من الغيب، وسورة هود . عليه السلام	٣٧
المبحث الثالث: رؤيا يوسف عليه السلام هي أول آية رؤيا نزلت في القرآن الكريم !!	٤٣
المبحث الرابع: من أحسن القصص رؤيا يوسف عليه السلام!!	٤٧
المبحث الخامس: الرؤيا المرموزة... سمة لما رآه يوسف عليه السلام في منامه !!	٥١
المبحث السادس: هل عبرت رؤيا يوسف عليه السلام؟ (تحقيق وتدقيق)	٦١
المطلب الأول: التأمل في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ... ﴾	٦٦
المطلب الثاني: التأمل في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ..... ﴾	٦٩
المطلب الثالث: لماذا تعبير رؤيا يوسف عليه السلام كان مختلفًا أو غير واضح ؟	٧٧
الفصل الثاني: معاني رموز رؤيا يوسف عليه السلام	
المبحث الأول: الإشارات الخاصة بيوسف عليه السلام	٨٥
المطلب الأول: الإشارة من معنى العصبة والعدد أحد عشر ؟	٨٧
المطلب الثاني: رمز الكواكب وإشاراتها العميقة، وفيه ست فوائد	٩٣
أولاً: (الوصول للعظمة) من أول هذه الإشارات لمعنى الكوكب	٩٦
ثانيًا: من إشارات معنى الكوكب الهمة العالية، والطموح الكبير	١٠١
ثالثا: الشهرة وانتشار الصيت	١٠٤
رابعا: الانتصار يؤخذ من الكواكب	١٠٨
خامسا: الدراية في أمور الزراعة تؤخذ من معاني رمز الكواكب	١٠٩
سادسا: الهداية الشرعية والهداية الكونية	١١٢

المبحث الثاني: الصفات المتعلقة بإخوة يوسف عليه السلام	١١٥
المطلب الأول: إخوة يوسف عليه السلام والجمال والكواكب	١١٧
المطلب الثاني: إخوة يوسف عليه السلام عبّاد موحدون.. ليسوا علماء ولا أنبياء!!	١٢٣
المبحث الثالث: الشمس والقمر والسجود	١٢٥
المطلب الأول: يوسف عليه السلام حسابيٌّ بارع	١٢٨
المطلب الثاني: تأثير الزمن في تعبير الرؤيا	١٣٢
المطلب الثالث: النصب والتعب والشقاء من الإشارات التي ترمز لمعاني الشمس	١٣٤
المطلب الرابع: الأهوال والشدائد من الإشارات التي ترمز لمعاني الشمس	١٣٥
المطلب الخامس: من الإشارات الأخرى لمعاني الشمس والقمر أنهما يرمزان للجمال أيضًا	١٤٠
المطلب السادس: الإفحام والتحدي وذكر الشمس وفيه وقفتان:	١٤٢
أولاً: الموقف الأول: بعد ما هددته امرأة العزيز بأن يفعل بها ما تريد	١٤٤
ثانيا: الموقف الثاني: في قوله تعالى : ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ﴾	١٤٤
المطلب السابع: الشمس تشير إلى ظهور للحقائق	١٤٧
المطلب الثامن: رمز السجود وعظم شأن يوسف عليه السلام :	١٤٩
أولاً: الآية الأولى: في رؤيا يوسف عليه السلام في قوله ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾	١٤٩
ثانيًا: الآية الثانية: تحقق الرؤيا ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾	١٥٠
الفصل الثالث:	
المبحث الأول: يا بني لا تقصص رؤياك!!	١٥٥
المبحث الثاني: (قواعد يسيرة في تفسير الأحلام وفوائده)	١٦١
أولاً: الرؤيا عالم غيبي والإيمان بها من صلب العقيدة	١٦٣
ثانيًا: تذكير الرائي بعد سماع الرؤيا أن ما فيها من فضل فمن الله	١٦٣
ثالثًا: من علامات الرؤيا الصحيحة ترابط رموزها ومعانيها ترابطًا واضحًا جليًّا	١٦٤
رابعًا: على المعبّر أيضًا الاجتهاد في تحليل تلك الروابط	١٦٤
خامسًا: إذا رأى المرء في أحلامه شيئًا غريبًا وغير مرتب، ورموزه غير مترابطة	١٦٥
سادسًا: تكرار المعنى له دلالة خاصة، دلالة على أمرين:	١٦٥

الأول: تأكيد لأمرٍ ما!!	١٦٥
الثاني: دلالة على زيادةٍ في هذا الأمر كزيادةٍ في المال أو في الجمال.	١٦٥
سابعًا: الرؤيا فيها البشارة والتحذير	١٦٨
ثامنًا: فائدة: التجاهل في الرؤيا	١٦٨
تاسعًا: الصلاح والتقوى لهما أثرٌ كبيرٌ في الرؤيا	١٧١
عاشرًا: وفي الجانب الآخر إذا كثرت أضغاث الأحلام وحديث النفس عند الرائي	١٧١
الحادي عشر: التعبير بإجمالي معنى رموز الرؤيا	١٧١
الثاني عشر: إن ظهر شيء غير جيد في الرؤيا فلا يفسر	١٧١
الثالث عشر: الاهتمام برؤى أهل المناصب وخصوصًا الدينية	١٧٢
الرابع عشر: الاهتمام بأمر الرؤيا وإن جاءت لمرة واحدة فقط	١٧٢
الخامس عشر: على الرائي أن يقص الرؤيا بنفسه	١٧٢
السادس عشر: التركيز على الأعداد والأرقام في الرؤيا وعدم إهمالها	١٧٣
السابع عشر : أحيانا ترمز الرؤيا على أحداث يعيشها الفرد أو المجتمع ويحتاج لحلول لها	١٧٤
الخاتمة	١٧٧
ملحق نماذج البحث:	
نموذج (١) ما يراه المرء في نومه	١٨٣
نموذج (٢) دراسة وتحليل رؤيا يوسف عليه السلام	١٨٤
نموذج (٣) مراحل تعبير المنامات	١٨٥
المصادر والمراجع	١٨٧
الفهارس	١٩٧

تأملات في رؤيا يوسف عليه السلام

تأليف

أحمد بن عبدالعزيز قشوع

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٩٢٥٤

ردمك: ٦-٦٤٩٣-٠١-٦٠٣-٩٧٨